السنة الرابعة　　العدد ٩　　١ أيار سنة ١٩٠١

المشرق

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم افندي الدحداح

لمّا كان من اهمّ فروض الوطنيَّة احياء ذكر اعاظم رجال الوطن وكبار اصحاب الفضل والعلم وجب علينا ان ننشر سيرة هذا الرجل العظيم الذي تُعدّ وفاتهُ خسارةً على الوطن والعلم والفضيلة. ولكن قبل الإقدام على ذلك نرجو من القراء الكرام ان يسمحوا لنا بايراد لمعة عن حال لبنان وأسرة مشايخ بني الدحداح توطئةً لما نسردهُ ممَّا وصلت اليهِ معرفتنا القاصرة عن حياة واعمال الفقيد الذي يحقّ للشرق ان يفتخر بمثلهِ

١ لبنان قبل سنة ١٨٦٠ واسرة مشايخ بني الدحداح

ان منشأ هذه الاسرة هو قرية العاقورة الواقعة في اعالي جرود لبنان في مقاطعة جبة المنيطرة من العاملة الشماليَّة المعروفة باسم معاملة طرابلس حسب تسمية الاقسام اللبنانيَّة القديمة (١). امَّا الان فهذه القرية هي اهمّ قرى ناحية جرود جبيل التي احدثها في قضاء كسروان دولة متصرف لبنان الحالي في اوائل عهده بالمتصرفيَّة

---

١) لا يخفى انهُ قبل سنة ١٨٦٠ كان لبنان يُقسم الى معاملتين كبيرتين احداهما الشمالية وهي المعروفة بمعاملة طرابلس والثانية الجنوبية كانت تُعرف بمعاملة صيداء. والفاصل بين الاثنتين الوادي الذي يبتدئ في أعالي الجرود بين كسروان والفتوح وينتهي في البحر المتوسط تحت الجسر المعروف بجسر المعاملتين في شمالي جونيه. وقد كانت معاملة طرابلس تتألف من المقاطعات الآتية: الزاوية. جبَّة بشرَّاي. الكورة. القويطع. بلاد البترون. بلاد جبيل. جبَّة المنيطرة. الفتوح. وامَّا معاملة صيداء فكانت تشتمل على: كسروان. القاطع. المتن. الغرب. الشحَّار. اقليم الخرّوب. المناصف. الجرود. العراقيب. الشوفين. اقليم جزّين. اقليم الريحان. زحله وقسم من البقاع الشرقي.

وقد جاء في « اخبار الاعيان » (ص١٠٩) ان جدَّ هذه العائلة هو الشيخ جرجس الدحداح وانهُ « في سنة ١٣٧٥ توفي المقدَّم غزال القيسي الماروني مقدَّم المـاقورة بلا عقب فورثتهُ ابنتهُ زوجة جرجس الملقَّب بالشدياق » (١٠ والمقدم غزال هو من بقيَّة المقدَّمين المَرَدة الذين استمروا في اعالي البلاد محافظين على حرّيَّة التصرف تحت سيادة الولاة والحكَّام. وكانت سوريَّة مع لبنان وتتنذ خاضعين لسلاطين مصر وبقيت كذلك حتى سنة ١٥١٥ اذ أزال السلطان سليم الاول العثماني دولة السراكسة واخضع سوريَّة ومصر وألحقها بالممالك الشاهانيَّة المحروسة

امَّا عن الشيخ جرجس الدحداح المشار اليـه واصله واعماله ومحلّ وفاته فلا يذكر التاريخ شيئاً مطلقاً. والذي اعرفهُ انهُ لم يبحث احد عن ذلك الّا المرحوم الكونت رشيد في تآليف لهُ بقيت خطيَّة. ولا اعلم ماذا حلَّ بها بعـد وفاته ووقوعها بين ايدي الجهالة الذين يجهلون لغتنا العربيَّة

وزيادةً في الايضاح نقول انَّ في سنة ١٣٧٥ اي في ايام الشيخ جرجس كان البطريرك على الموارنة يوحنا الجاجي. وكان الحكم في الفتوح والمنيطرة وبلاد جبيل وبلاد البترون لمشايخ بيت حمادة الشيعيين ذوي السيطرة والقوة. وكان على جبـة بشرّاي الحماديون ايضاً وفي بعض اقسامهـا مقدَّمون موارنة. والسهل (اي الزاوية والكورة) كان تابعاً لحكَّام طرابلس. امَّا معاملة صيـداء فانَّها كانت خاضعة لامراء آل عسَّاف وآل سيفا الاكراد وكان غالب السكان فيها من المسلمين وقد اندثر العنصر المسيحي في كسروان وغزير منـذ سنة ١٣٠٧. وكان الامراء المعنيون في الشوف والعراقيب والجرد. والتنوخيُّون في الغرب الاعلى والشحار والمناصف. وآل ارسلان في الغرب الاسفل وفي الساحل

وقد توفي الشيخ جرجس الدحداح تاركاً ولداً تزوَّج ثم صار كاهناً باسم ميخائيل.

وقد كانت مدينة بيروت ذاتها تابعة لهذه المعاملة الجنوبية من قبل سنة ١٧٨٠. وتاريخ بيروت الذي نُشر في هذه المجلة لاحد الامراء التوخيـين يشهد بذلك. فان الامراء حكام بيروت وقتئذٍ كانوا جاعلين مراكز حكمهم في قرى الغرب

١) وقد وردت هذه العبارة في كتاب « تاريخ الطائفة المارونيَّة » للدويهي الذي عني بطبعهِ وتعليق حواشيهِ حضرة الاستاذ الفاضـل رشيد افندي الشرتوني ولم يذكر فيها لفظة « الدحداح »

ومن الغريب ان سلسلة العائلة تذكر الخوري ميخائيل هذا ومن بعدهِ ستة كهنة(١ تناسلوا بالتتابع وكلٌّ منهم وحيد لابويهِ. فجرجس الدحداح الملقَّب بالشدياق صهر غزال القيسي ورث عمهُ سنة ١٣٧٥ وخلفهُ ابنهُ الخوري ميخائيل فالخوري يوسف فالخوري ابرهيم فالخوري حنَّا فالخوري ميخائيل فالخوري يوسف فالخوري جرجس فالشيخ يوسف سنة ١٦٧٥ وهذا لم يصر كاهنًا. والعائلة حفظت سلسلة اولادهِ. وقد ورث عمَّهُ مالك ابا الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ وتوفي سنة ١٧٦٢ وقد رُزق من ابنة عمِّهِ مالك اربعة اولاد وهم ابرهيم وسليمان وموسى ومنصور. ثم رُزق من زوجتهِ الثانية ابنةً وهبة

فمن وفاة المقدَّم غزال سنة ١٣٧٥ وهو حمو اول شيخ من عائلة الدحداح الى وفاة المقدم مالك ابي الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ توجد فترة ثلاثمائة وخمس وعشرين سنة. فلا يُصدَّق ان هذه العائلة تسلسلت في هذه المدة الطويلة كاهنًا عن كاهن كلٌّ منهم وحيد اهلهِ. ولا ريب انهُ كان لكل منهم او للبعض اخوة قد أُهمل ذكرهم في سلسلة العائلة امَّا لانقطاع ذريّة الواحد منهم عاجلًا وامَّا لكثرة الفروع المتشعّبة من تلك الاصول او لأن اولادهم ثبتوا في العاقورة بعد خروج الشيخ يوسف بابيهِ واولادهِ منها (٢ او لانهم هم نزحوا الى جهات مختلفة فلم يُلتفَت الى سياق نسبهم حتى نُسي مع الاعوام اسم اجدادهم انفسهم ولم تُحفظ الَّا سلسلة الكهنة التي سبق ذكرها. ولعلَّها ناقصة كما قلنا

ومن وقف على اخبار لبنان في تلك الايام يرى ان العاقورة لم تكن حكومة واحدة

---

١) اعلم انَّ كتاب اخبار الاعيان لم يذكر بعد الخوري ميخائيل سوى خمسة كهنة وقد عددناهم ستة وفقًا لتقليد العائلة. ولعلَّهُ فُقد من هذه السلسلة حلقات أُخر والله اعلم

٢) يشهد على ذلك كتاب صلاة وجد في كنيسة العاقورة مكتوب عليهِ بخط يد الخوري يوسف سادس هؤلاء الكهنة العبارة الآتية ندوّنها بحرفها : « انا الخوري يوسف خادم العاقورة المرسوم من السيد الذكر البطريرك يوحنا مخلوف بايَّام اينوشنيوس البابا في رومية. قد تقرَّر كالهُ على يد احقر الناس واذلّهم يوسف باسم خوري ابن المرحوم الخوري ميخايل ابن الخوري حنَّا ابن الخوري ابرهيم المكنَّى بابن الدحداح من عروسة العاقورة. وكان عمر الكاتب المسكين ٤٧ سنة يوم كتب هذا الكتابْ وهو وقفٌ لا رجوع فيهِ للقديسين المعظمين مرت مريم سيدة الجبل ومار الياس ومار ميخايل وجبرايل من تعبي وكدي وُقف صدقة عني وعن « اولادي » ووالديّ. ايّ من طمع عليهِ وسرقهُ ام غيرهُ يكون محرومًا من الله والقديسين المذكورين يكونوا اخصامهُ وانا بريءٌ من خطيتهِ. سنة ١٦٤٩»

خاضعة لمقدَّم او شيخ واحد بل انهـا كانت قسمين: احدهما ورثهُ بنو الدحداح من جدَّتهم ابنة غزال. والآخر ساد فيه غيرهم كما يشهد على ذلك ما جاء من انَّ المقدَّم خليل ابن مقلد بنى برجاً للقرية سنة ١٤٤٢ وان مالكاً اليمني شيخ العاقورة حرق المنيطرة سنة ١٥٣٤ وقُتل بمدنه

ونحن في هذا الصدد يجدر بنا الالماع الى ان جميع أُسرات مشايخ الموارنة واكثر اهالي جنوبي لبنـان الموارنة هم من المعاملة الشماليَّة. فمشايخ آل دحداح نشأوا في العاقورة من قرى المنيطرة سنة ١٣٧٥ كما سبق القول عنهم. ومشايخ آل حبيش عُرفوا سنة ١٥١٥ في يانوح احدى قرى المنيطرة ذاتها. والشدياق سركيس جدّ مشايخ آل الخازن لم يُذكر اسمهُ الَّا سنة ١٥٤٥ اذ قيـل انهُ جاء من جاج احدى قرى بلاد جبيل للسكنى في كسروان

ولنعد الى الشيخ يوسف الدحداح سليل الكهنة المارّ ذكرهم. فانهُ وقعت عداوة بينهُ وبين هاشم العاقوري اليمنيّ الذي كان الحماديون يعضدونهُ ففرَّ بابيهِ واولاده من العاقورة الى عشاش احدى قرى الزاوية ثم الى طرابلس حيث تعلم هو وولدهُ ابرهيم اللغة التركية. وبعد ان توظَّف عند الامير حسين حرفوش الشيعي حاكم بعلبك ثم عند الشيخ اسمعيل حماده الذي وهبهُ خمس قرى في مقاطعة الفتوح عاد الى العاقورة وخرج منهـا نهائيًّا سنة ١٧٠٤ واتى لحفد في بلاد جبيل ثم انتقل منها الى الكفور في الفتوح وجاء في آخر الامر الى عرامون كسروان فاستوطنها. ويظهر ان والدهُ الخوري جرجس توفي في اثناء هذه الرحلات لانَّ التاريخ لا يذكر مجيئهُ الى عرامون

وعرامون هذه قرية من مقاطعة كسروان على حدود المعاملة الجنوبيَّة قد اختارها الشيخ يوسف ليكون في بلاد كثر فيها النصارى وساد فيها الحزب القيسي فيأمن جور الحكَّام اليمنيين السائدين بشخص مشايخ حماده وامراء الحرفوش في المعاملة الشماليَّة. فضلًا عن ان هذه القرية نظرًا الى وقوعها على حدود مقاطعة الفتوح وقربها من معاملة طرابلس تمكّنهُ من السهر على القرى التي يملكها في الفتوح ومداومـة كتابة الاسرار واستلام زمام الاحكام عنـد مشايخ حماده المذكورين. ولم يمضِ عليه سنة في عرامون حتى ولَّاهُ الشيخ اسمعيل حماده شؤون مقاطعة الفتوح باسرها وجباية الاموال الاميريَّة فيها وقد اعفاهُ من جميع الاموال هو واولادهُ وخدمهُ وشركاءهُ

ويوسف هو الذي اشار اليهِ البطريرك سمعان عواد في ترجمة حياة البطريرك اسطفان الدويهي اذ يسمّيهِ يوسف الماقوري الماروني ويذكر عنهُ انهُ كان يجبي الاموال الاميريّة في الفتوح من قبل الشيخ اسمعيل حماده. وقد ورد ذلك في المقدمة التي في صدر « تاريخ الطائفة المارونيّة » للدويهي فهذا الشيخ الماقوري الماروني هو احد اجداد بني الدحداح

وتوفي يوسف سنة ١٧٦٢ ودفن في حجرة خاصّة في دار كنيسة عرامون. وكان قد رُزق كما رأيت انفاً خمسة اولاد ذكور هم ابرهيم (١ وسليمان (٢ وموسى (٣ ومنصور (٤ ووهبه (٥. ولمّا كان لبني الدحداح شأن في لبنان وقد امتزجت اخبارهم باخبار حكامه وامرائهِ وجب علينا من باب الايضاح ان نورد لمة عن احوال لبنان في تلك الأيام كي نتمكّن من استيفاء الكلام عن اولاد يوسف المشار اليهم وسلالتهم من بعدهم

كان الامراء المعنيون المسلمون المشهورون بالعدالة قد حكموا في الشوف والعراقيب والجرد مدة طويلة وظهر منهم ولاة يعرفهم الكرم والسيف كالامير فخر الدين مثلاً (٦

---

١) درس اللغة التركيّة مع ابيهِ واتقنها واشتهر بذكائهِ. وقد توفي قبل ابيهِ تاركاً ثلاثة اولاد ذكور وابنة. وانقرضت ذريتهُ بموت المرحوم فيّاض آخر ذكر من نسلهِ. توفاهُ الله في طرابلس سنة ١٨٨٣

٢) بعد ان ساعد اباه مدة حياتهِ في اشغال الفتوح وامور بيت حماده توفي طاعناً في السن سنة ١٧٦٤. وهو الذي حضر المجمع اللبناني الماروني المنعقد في دير اللويزة سنة ١٧٣٦. وقد ورد سهواً اسم سلّوم الدحداح عوض سليمان في الطبعة العربيّة الجديدة للمجمع المذكور المترجمة بقلم سيادة المطران يوسف نجم والمطبوعة سنة ١٩٠٠

٣) كان في عهد ابيهِ ترك المشايخ الحماديين وتقرّب الى الامراء الشهابيين فدخل في معيّة الامير منصور الشهابي حاكم مقاطعة صيداء. وقد انتفع اولادهُ من ذلك ونالوا الغنى والشهرة ولاسيما ابنهُ سلّوم وحفيدهُ منصور بن سلوم كما سيأتي الكلام عنهم. توفي موسى سنة ١٧٧٨

٤) هو اعظم اخوتهِ قدراً وابعدهم شهرة واقدرهم سياسة وحكمة. وهو مع سلوم ابن اخيهِ موسى المذكور آنفاً ومنصور بن سلوم فخر العائلة ورافعو لواء مجدها. كما سترى

٥) سيأتي الكلام عنهُ وقد توفي في مدة الخمس السنوات الاولى بعد الثمانمائة والالف

٦) وقد غلط كتبة الافرنج في نسبتهِ الى المذهب الدرزي. وربّما كان سبب الغلط ما ورد في تآليف ابناء العرب وفرمانات الدولة العليّة من تسمية فخر الدين بامير الدروز او امير جبل الدروز

وقد انقرضت سلالتهم بوفاة الامير احمد حاكم معاملة صيداء في ١٥ ايلول سنة ١٦٩٧ (١ فانتخب كبراء لبنان (والاحرى كبراء معاملة صيداء) وريثاً لهُ ابن اختهِ الامير بشير الشهابي من راشيا. لكن الحكومة السنية لم تصادق على هـذا الانتخاب بل عيَّنت الامير حيدر شهاب (٢ من حاصبيا لانهُ ابن بنت الامير المتوفى واحقّ بالارث. ولمَّا كان هذا قاصراً أُقيم وصيًّا عليـهِ او كفيلاً لهُ الامير بشير المذكور حتى سنة ١٧٠٦ التي مات فيها الوصيّ واستقل بالحكم الامير حيدر فقامت عليهِ الاحزاب اليمنيَّة من امراء آل علم الدين وارسـلان ومقدَّمي بني الصواف المتنين ومحمود الهرموش فطردوهُ واستبدوا بالامر في لبنان الى سنة ١٧١١ حيث برز الامير حيدر من مخبَّاهِ ودعا اليهِ قومهُ وسار فيهم الى دير القمر عن طريق الجرود ليمنع اعداءهُ من الالتقاء والانضمام فبطش بهم في خراج عين دارا من العرقوب وفتك فيهم فتكاً ذريعاً وافنى آل علم الدين واتى دير القمر مركز حكومة المعاملة واباد الحزب اليمني فلم تقم لهُ قائمة ولم يعـد يذكر لهُ اسم في لبنـان. ثم استقال من الحكم سنة ١٧٢٩ فورثهُ بكر اولاده الامير ملحم. وفي عهد هذا انقسم لبنان الى حزبين " يزبكي " برئاسة مشايخ آل عمـاد و " جنبلاطي " برئاسة بني جنبلاط. وفي سنة ١٧٥٤ اعتزل الامير ملحم فخلفهُ اخواهُ الاميران احمد ومنصور الى سنة ١٧٦٠ حيث انفرد بالسلطة الامير منصور

وقد سعى الشيخ سعد الخوري مربّي الامير يوسف واخوتهِ (٣ بايجاد وسيلة لينزع معاملة صيداء من يد الامير منصور ويجعلها في قبضة ربيبهِ الامير يوسف. ثم عدل عن مقصدهِ وعمل باشارة من (٤ قال لهُ ان يتخـذ الامير منصور عضداً لهُ في استحصال معاملة طرابلس للامير يوسف. وهكذا قد تمَّ فان الامير منصور سُرَّ من هذا الرأي

١) اي ثماني عشرة سنة بعد وفاة الشيخ ابي نوفل الخازن. فان الدويهي يقول (في الصفحة ٣٤٦ من تاريخ الطائفة المارونية) انَّ وفاة هذا الشيخ كانت في ١٣ آب سنة ١٦٧٩. فهذا النص وما ورد في التحريرات المسماة بالرسائل البانية (Lettres édifiantes) ينبئان بعدم بقاء ابي نوفل في قيد الحياة الى ما بعد انقراض المنيين كما ورد في الصفحة ٢٥٩ من التأليف نفسهِ والمأخوذ عن جبل الشارح اسم مؤلفهِ

٢) هو جدُّ جميع الشهابيين اللبنانيين

٣) جميعهم اولاد الامير ملحم المعتزل

٤) الشيخ منصور الدحداح وذلك انتقاماً من الحماديين كما سيأتي

الآثل الى ابعاد ابن اخيه (١ عنـهُ واقناعه بمامة طرابلس عن معاملة صيداء. وسعى فحصَّل لهُ الفرمان من ايالة الشام وطرابلس. وفي سنة ١٧٧٠ تخلَّى لهُ عن معاملة صيداء ايضًا فاصبح لبنان كلهُ في يد الامير يوسف. وفي سنة ١٧٨٩ عُزل هذا الامير فاخذت الحكومة تتراوح بين ايدي الامير بشير قاسم عمر المعروف بالكبير او المالطي وبين اولاد الامير يوسف المعزول (٢ وبين الاميرين حيدر وقعدان. الى ان ثبتت اخيرًا في يد الامير بشير المذكور الذي لا تخفى اخباره ووقائع عهده

وبعد عزله خلفهُ ابن عمه الامير بشير ملحم ثم عمر باشا. واخيرًا في سنة ١٨٤٣ انقسم لبنان الى قائمقاميتين: احداهما للنصارى من طريق الشام الى طرابلس. والثانية للدروز من الشام الى صيداء ما عدا دير القمر التي بقيت تابعة لمدينة بيروت رأسًا. وكان اول قائمقام على النصارى الامير حيدر ابو اللمع وعلى الدروز الامير احمد ارسلان. وجميع هذه الامور حديثة مشهورة لا نتعرَّض لذكر تفاصيلها

فنعود الان الى سياق الكلام عن الدحادحة ونقول ان الشيخ منصور رابع اولاد الشيخ يوسف العاقوري السابق ذكرهُ كان في حياة ابيه يدهُ اليمنى وبعد وفاته تولى امور بيت حماده. ولكن لمَّا رأى منهم التمرد بعد موت الشيخ اسماعيل حماده وتعذَّر عليه اصلاحهم تركهم وسافر الى قبرس. وفي اثناء غيابه بيعت املاكه في الفتوح وفاء لكفالته بني حماده تجاه والي طرابلس. ولمَّا عاد من قبرس تداخل مع الشيخ سعد الخوري مربي اولاد الامير ملحم واقنعهُ بالعدول عن مزاحمة الامير منصور الى الاستعانة به على تحصيل معاملة طرابلس للامير يوسف. كما مرَّ آنفًا. ولمَّا نجح مسعاهما اعطى هذا الامير لمربيه وكاخيته الشيخ سعد املاكًا واسعة في جبة بشراي. اما منصور فقد اعطاهُ قسمًا كبيرًا من بلاد جبيل عهدة خصوصيَّة لهُ ولذريته من بعده من غير شراكة احد فيها من عائلته. ووهبه املاكًا شاسعة في بلاد جبيل والبترون والفتوح. منها دير البنات واراضي في سهل جبيل ودكاكين بوابة جبيل ومستيتا واملاك في البوار

فدير البنات واراضي السهل اعطاها منصور وقفًا للرهبانيَّة البلديَّة المارونيَّة مشترطًا على رؤسائها قبول افراد ذريتهُ في الرهبانيَّة بدون مانع وحافظًا لنفسه ولأي كان من نسله حقَّ الرجوع بهذه الوقفيَّة واسترجاعها من الرهبانيَّة

١) الامير يوسف المذكور ٢) وهم حسين وسعد الدين وسليم

واماً دكاكين البرَّابة فقد وقفها على كنيسة سيدة جبيل. وسلَّم املاك مستيتا(١ وقفًا الى دير سيدة الحقلة. وقد استمرَّت العلائق الحسنة بين سلالة الشيخ منصور هذا والمتولّين على اوقاف سيدة الحقلة حتى وضع يدهُ على هذه الاوقاف الثلث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج اذ كان اسقفًا على بعلبك(٢. وكانت عوائد واصطلاحات خاصَّة محفوظة لسلالة الشيخ منصور في معاملتهم مع اصحاب الدير المذكور

امَّا املاك البوار فقد وقفها على دير مار دوميط المشهور كما يثبت ذلك من حجج واوراق هذا الدير ومن العوائد الخاصَّة المحفوظة في معاملة رئيسه لاولاد الشيخ منصور وسلالتهم (٣

ولمَّا تمكن الامير يوسف من حمل عمّه على الاعتزال سنة ١٧٧٠ واستقلّ وحدهُ بالمعاملة جعل بني الدحداح في مقدَّمة رعاياهُ فاعطاهم مقاطعة الفتوح عهدة خصوصيَّة لهم مكافأة على حسن خدمتهم. وسلم اعمال مقاطعة الحاديين في المنيطرة الى وهبة اخي منصور. واحضر سلومًا وناصيفًا ولدي موسى فاقام الاول كاتبًا في ديوانه مقرَّبًا اليه والثاني رئيسًا على المحاسبات وجباية الاموال الاميريَّة (٤

وتوفي منصور مؤسس مجد هذه العائلة سنة ١٧٨٠ تاركًا ولدًا وحيدًا اسمهُ حنا(٥

---

١) اعلم انَّ دير مستيتا اعطاهُ الامير يوسف الشهابي بواسطة الشيخين المرحومين منصور الدحداح وسمان البيطار لعائلة بيت ديب من دلبتا ليكون تحت تصرّفها وولايتها

٢) وقد عادت اليوم بامر الكرسي الرسولي لاصحابها ٣) لم اذكر كلّ الاوقاف التي وقفها جميع افراد العائلة الدحداحيَّة. ومن هذه الاوقاف ما هو بايدي العائلة كدير سيدة شويت. ودير مار انطونيوس عين سجاع في الفتوح الذي يدبّرهُ الان الخوري الفاضل طوبيًا الدحداح

٤) وقد اخطأ الخوري منصور الحتوني (واخطأ معهُ صاحب « بطل لبنان ») بقولهِ في مقدمة تاريخهِ ان عهدة الفتوح اعطاها الامير بشير الشهابي لسلوم الدحداح سنة ١٨١٤. على حين انهُ يذكر في كلامهِ عن حكومة الامير يوسف انهُ اقطع الدحادحة مقاطعة الفتوح سنة ١٧٧٠. فالمناقضة بين القولين ظاهرة. كما انهُ اخطأ في نفس المقدمة بذكره دير ومدرسة مار عبدا هرهريا في عداد اديرة كسروان. فلو نظر فيما اذا كان الدير واقعًا شمالي الوادي المؤدي الى المعاملتين ام جنوبيه لما فاته انهُ في الفتوح لا في كسروان. ولا شكَّ انهُ اختلط عليهِ الامر ممَّا كان يحدث من ادعاء البعض بان الدير المذكور تابع لكسروان ومحاولتهم نزع سلطة بني الدحداح عن مزرعة الدير واراضيه وكيف تمكّن بنو الدحداح من اثبات حقوقهم والمحافظة على حدود مقاطعتهم رغمًا عن معاكسة الايَّام لهم واتفاق السلطتين الدينيَّة والمدنية في لبنان ضدّهم

٥) حنا ولد سنة ١٧٦٢ وتوفي سنة ١٨٠٧ وقد ادار اعمال مقاطعتهِ دون المداخلة في شؤون

خلفهُ في مقاطعتهِ. وقد اشتهر من بعده اولاد اخيهِ الاربعة ناصيف وسلوم ويوسف وابرهيم. وبعد عزل الامير يوسف سنة ١٧٨٩ مضى على بني الدحداح عشر سنوات تقلبت فيها عليهم الاحوال بتقلُّب الاحكام بين الامراء حتى ثبتت في يد الامير بشير المالطي (كما سبق القول). وكان كلٌّ من هؤلاء الحكّام يعين سلوماً واخوتهُ في ديوان الاحكام

ولمَّا استقلَّ بالحكم الامير بشير المذكور عيَّن سلوماً كتخدا اي مدبّراً لاعماله وناصيفاً على الاموال الاميريَّة في كسروان والفتوح وجبيل وسائر الجهة الشماليَّة. ولمَّا كان قد عيَّن اخاهُ الامير حسن حاكماً في غزير ومراقباً على اصحاب المقاطعات في كسروان وشمالي لبنان جعل عنده ابرهيم اخا سلوم كتخدا وقاضياً. واتخذ اخاه يوسف سفيراً لهُ في مخابراتهِ مع الولاة ولاسيما والي عكّا احمد باشا الجزار

وقد توفي سلوم في عرامون سنة ١٨٢٠ عن ثلاثة اولاد منصور وغالب وبشير. فكان لهُ مأتم عظيم اهتزَّ لهُ لبنان واحتشد فيهِ الامراء والمشايخ واماثل الجبل من جملتهم الامير امين الذي حضر من قِبل ابيه الامير بشير. والشيخ بشير جنبلاط الذي جاء من المختارة بنفسهِ

وكان لمَّا شاخ سلوم تعين ولده منصور معاوناً لهُ. فما زال هذا يتعاطى تدبير الاشغال حتى سنة ١٨٢٨ حيث سلَّم الامير بشير شؤون حكومته الى ولدهِ الامير الامين. وكان هذا اتخذ منادماً لهُ الشاعر المشهور المعلم بطرس كرامة. فاعتزل الشيخ منصور الاعمال وعاد الى عرامون. وقد قضى هو وابوهُ في تدبير الاحكام مدة ٥٨ سنة اشتهرا فيها بالسياسة والخبرة والحزم والنشاط والصدق نحو اولياء الامور. وقد ترك كلٌّ منهما اسماً مجيداً يردّدهُ اللبنانيون الى يومنا هذا متمثّلين بحسن تدبيرهما وسموّ مداركهما وسهرهما على رعاية الاحكام وصدقهما في الخدمة. وهما هما اللذان زانا حكومة الامير بشير.

لبنان العمومية. وقد اوفدهُ الامير بشير قاسم عمر الكبير حاكم لبنان الى الاناضول سنة ١٧٩٩ رئيساً على الوفد المرسل ليقدم الهدايا والتقادم الى الصدر الاعظم. يوسف ضيا باشا فالتقاهُ في مدينة قره مرط فاكرمهُ الوزير وخلع عليهِ. ولهذا اربعة اولاد منصور (+١٧٦٢) ولويس (١٧٨٨–١٨٣٢) وجهجاه وعرب. وكان جهجاه (١٧٩٠ – ١٨٦٠) من مشاهير الرجال قاوم الامير بشير واتّفق مع الدولة العثمانية لطرد الجيش المصري من الشام وبدّد شمل الامير مجيد حفيد الامير بشير في جبّة بشرّاي واسرهُ فاثنت الدولة على خلوص عبوديتهِ وجهجاه والد جناب رفقتلو الشيخ خطار الدحداح وجدّ المرحوم الشيخ يوسف وسيأتي ذكره

وفي أيامهما كان عهدهُ عهد العدل والامان. وقد ترك سلوم رسالة خصوصيَّة بخط يدهِ يروي فيها سياحة الامير بشير الاولى الى مصر سنة ١٧٩٩ اذ جاء اليها الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا

امَّا منصور فانهُ بعد اعتزالهِ الاشغال سكن الدار العظيمة التي كان قد شيَّدها في عرامون ازاء بيت ابيهِ ولم يتداخل بعد ذلك بشؤون السياسة سوى اربع مرَّات: (الاولى) لمَّا استدعاهُ الامير بشير الكبير سنة ١٨٤٠ ليستشيرهُ في امر التسليم وترك العساكر المصريَّة. فاشار عليهِ بالطاعة فلم يذعن لاشارته بل عمل برأي بطرس كرامة فكان من امرهِ ما كان. (الثانية) لمَّا دعاهُ الامير بشير قاسم ملحم المعيَّن بدلاً من الامير بشير الكبير فلبَّى طلبهُ ونهض برجالهِ ولحق بجيش الامير لطاردة العسكر المصري حتى وصل الى البقاع. ومنها عاد الى بيت الدين ثم قفل راجعاً الى عرامون. (الثالثة) لمَّا تعيَّن عمر باشا بدلاً من الامير بشير الثالث فاتخذ مدبّرين احدهما مسيحي وهو الشيخ منصور الدحداح المذكور والثاني الشيخ خطار العماد الدرزي. وقد بقي الشيخ منصور في الخدمة مدة اقامة عمر باشا في لبنان. (الرابعة) لمَّا تعيَّن الامير حيدر ابو اللمع سنة ١٨٤٢ قائمقاماً على النصارى كما سبق القول فاتخذ الشيخ منصور بضعة اشهر مدبّرًا ثم تركهُ وخاصمهُ واضطهدهُ زمناً طويلاً

ومات الشيخ منصور في دارهِ بعرامون سنة ١٨٦١ في عمر اثنين وثمانين عاماً. وكان قد اقتنى املاكاً عظيمة وحصَّل اموالاً طائلة (١

فهؤلاء الثلاثة منصور الاول وسلوم وابنهُ منصور هم عظماء العائلة ورافعو لواء مجدها. وقد جرى على آثارهم كثيرون من اسرتهم فخدموا امراء البلاد وتولَّوا الاشغال فاشتهروا في كل عهد لاسيَّما في عهد الامير بشير الكبير حيث كنت ترى تقريباً جميع مشايخ بني الدحداح في الوظائف. ففي بيت الدين كان امين بن يوسف وموسى بن ابرهيم ورُشيد بن غالب كتَّاباً للامير بشير. وفي غزير كان خليل بن غالب كاتباً للامير عبد الله.

---

١) وهذا يخالف ما قالهُ صاحب تاريخ مقاطعة كسروان ويكفي لنقض دعواهُ ان نقول ان قسماً من ثُلث تركته (بستان الصا في بلاد البترون) هو الان ثروة عظيمة في ايدي اولاد انجالهِ

وفي المقاطعات كان لويس وجهجاه ابنا حنا حاكمين على بلاد جبيل. وزعيتر (١ وكيلًا على مشايخ الجبّة ومرعي (٢ وكيلًا على مشايخ الكورة

ولمَّا انقسم لبنان الى قائمقاميَّتين كما سبق القول كان الشيخ امين رئيس الكتبة عند الامير حيدر اوَّل قائمقام على النصارى وابنهُ الشيخ يوسف معاونًا لهُ. وكانا كلاهما شاعرَين بارعين. وقد اشتهر احدهما يوسف بخطّهِ واتقانهِ التصوير. وهو الذي صنع للامير حيدر تاريخًا لبناء سراياه في بكفيا لم يزل منقوشًا الى يومنا فوق مدخلها. امَّا الشيخ امين فلهُ تآليف نفيسة منها رسالة كلها مراثٍ وحِكَم وضعها بعد فقدهِ ولدهُ يوسف المذكور سنة ١٨٥٠ في عنفوان الشباب. ويشهد على مكانتهِ من الشعر والعربيَّة ما تبادلهُ من القصائد المشهورة مع شعراء عصرهِ. ونحن نكتفي عن الكل بالاشارة الى ما ورد في ديوان استاذهِ الشاعر بطرس كرامة وديوان المرحوم المطران جرمانوس الشمالي وتوفّي الشيخ امين سنة ١٨٧٣ ولهُ من العمر ٨٣

امَّا الشيخ موسى فكان قد سافر مع الامير بشير الكبير الى منفاه بمالطة ثم الى الاستانة العليَّة. وعاد منها الى لبنان سنة ١٨٤٠. وبعد وفاة الامير حيدر تعيَّن عند خلفهِ الامير بشير احمد اللمعي مدبِّرًا او كتخداء فاقام برئاسة الاحكام الى سنة ١٨٦٠ حيث كان عزل الامير وتشكيل المتصرفيَّة. وكان مشهورًا في ايَّامهِ باسم « لسان النصارى » ممتازًا بحزمهِ ورصانتهِ وحكمتهِ وفصاحتهِ وطلاقة لسانهِ واقتدارهِ على اقناع سامعيه

وقد مات في بعلبك سنة ١٨٧٥ فشيِّد لهُ مدفنًا لائقًا حفيدهُ الشيخ حصن الذي كان قد انتظم في الرهبانيَّة البلديَّة باسم يوسف وعيِّن وكيلًا استفيًّا في بعلبك

وممن اشتهروا في هذه الآونة ايضًا فرنسيس واخوه لطوف وطنوس الذي خلف اباهُ تاصيفًا على الاموال الاميريَّة

ومنذ سنة ١٨٥٠ اخذ مشايخ الدحداح يهجرون عرامون. فاستوطن فريق كبير منهم

---

١) زعيتر بن راشد بن موسى توفي سنة ١٧٤٣ وهو والد المرحومين راشد وقبلان الذين اشتهرا في خدمة لبنان والذين وتوفيا من بضع سنوات وجدّ الشيخ يوسف راشد احد مدراء لبنان حاليًا

٢) مرعي ولد سنة ١٧٨٣

ناحية الفتوح مقاطعتهم. وفريق ذهب الى بلاط في بلاد جبيـل حيث كان قد سبق اولاد وهبه فاستوطنوا هناك منذ الاول. والبعض منهم تفرّقوا في البلاد

واكثر دور مشايخ الدحداح اصبحت اليوم اديرة: فدار الشيخ منصور سلّوم صارت دير مار نقولا المعروف بمدرسة العريمة. ودار الشيخ موسى اشتراها منهُ قعدان بك الخازن ثم صارت مع دار الشيخ امين ملكاً لابرشية بعلبك وكرسيًّا للاسقفيَّة. ودار الشيخ طنوس اصبحت مدرسة المحبة

هذا ما ارتأينا ادراجهُ من اخبـار عائلة بني الدحداح حتى سنة ١٨٦٠ كتوطئة لترجمة الكونت رشيد الدحداح (ستأتي البقيَّة)

مقطعات شعريَّة للشيخ احمد البربير

اختارها الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف

هو الشيخ العلّامة الاديب احمد افندي البربير اصل عائلتهِ من بيروت وكان مولده في دمياط سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧م) ثم حضر الى ثغر الشام وتولى القضاء في بيروت في عهد الامير يوسف الشهابي ثمَّ استعفى واستوطن دمشق وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١م). ودُفن في الصالحية. ولهُ تآليف حسنة منها كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصلي طبعهُ في بيروت الشيخ محمد افندي عمر البربير سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٤م). ولهُ شعر جيّد ذكرنا منهُ شيئاً في ترجمة ميخائيل البحري (المشرق ٣: ١٢-١٨). امَّا المقطَّعات التالية فقد اختارها جناب الفاضل عيسى افندي اسكندر معلوف من نحو ٥٠٠ مقطَّعة للشيخ المذكور استنسخها من هامش كتاب اسرار البلاغة المخطوط وجدهُ في مكتبة السيد غريغوريوس حداد مطران طرابلس للروم الارثوذكس وهي مكتوبة بخط المؤلف رحمهُ الله (المشرق)

١ ويوم تبسَّم نوّارهُ   ودمعُ السحاب عليهِ انسكبْ
رأت سُحبُهُ كاسهُ مترعاً   فصارت تنقّطها بالحَبَبْ

*

٢ نحن والله في نعيمٍ مقيمٍ   بين سجعٍ وبين صوتٍ رخيمِ
لم نجد عندنا اليك رسولًا   غيرَ ماهبَّ من لطيف النسيمِ
قد قضى غُنُنـا فناحَ عليهِ   كلُّ صوتٍ من الحمام نظيمِ
ولهذا لم ندرِ ما نحن فيـهِ   من سرورٍ وعزةٍ ونديمِ

أنعيمٌ في جنّةٍ ام خيالٌ … في منامٍ ام جنّةٌ في نعيمِ

*

٣ قد رنّح الريحُ زهرَ الروض مبتسمًا … لمّا رآهُ غضيضَ الطرف فانتبها
وانحلّ عقدُ جواري السُّحب فانتثرت … لآلئٌ منهُ اهدتها البحارُ لها

*

٤ ونهرٍ يروح باسرارهِ … ويجري لضائعِ ازهارهِ
ترى ماءهُ ابدًا راقصًا … لتصفيقِ انواعِ اطيارهِ
فكم شكرتهُ الرياضُ التي … أزاهرُها بعضُ آثارهِ
جلبتُ المسرّةَ من صفوهِ … وألقيتُ همّي بتيّارهِ

*

٥ وليلةٍ حسنتْ اوقاتها وصفتْ … نظيرَها ما رأت شمسٌ ولا وصفتْ
كأنَّ انجمها والجوّ يبرزها … جواهرُ الدرّ في بحر الظلام طفتْ

*

٦ ليلةٌ كالغراب قُصّ جناحا … ليس يرجو الكئيب فيها صباحا
خافها اعزلُ السماكين حتى … صار ذا رعدةٍ والقى السلاحا

*

٧ دمشق دارٌ للهوى والنوى … وهي لمن يخشى العدى جُنّهْ
كأنها المرآة مصقولةً … تلوح فيها صورة الجنّهْ

*

٨ دمشق حازت عنبًا … يُضرب فيهِ المثلُ
كأنهُ لآلئٌ … يُصان فيها العسلُ

*

٩ نذير شيبٍ منذرٌ بالذهابْ … فجدّد التوبةَ قبل الحسابْ
واحذر سطى جارحٍ بازٍ هوى … من هولهِ طار غرابُ الشبابْ

*

١٠ خيوط الشيب قد مُدّت بفَودي … ومدُّ خيوطها قِصرُ الحياةِ
اجادت غزلها ايدي الليالي … لتنسجهُ غدًا كفنًا لذاتي

*

١١ كم سبكنا الذهبان فيه مديحًا … فاستحالت كطرق الحدّادِ
والذي يغرس الثنا في سباخٍ … فكثيرٌ عليهِ شوك القتادِ

*

١٢ صحبةُ الناس غُراها اصبحت غيرَ وثيقهْ
قد رأيناها مجازًا فاتخذناها حقيقهْ

*

١٣ لمّا رأى الدينـارُ انَّ مقرَّهُ في ملكهِ مقدارُ طرفة عينِ
لاحت على خدَّيه صفرة وجههِ جزعًا واصبح وهو ذو وجهينِ

*

١٤ تقلّد صمصامةً حدُّها يؤثّر في الصخر قدًّا وقطما
لسانٌ جرى سمُّهُ كاللعاب ألم ترَهُ لابسًا سِلخ افعى

*

١٥ وابيض راق العيـو نَ منظرًا ومخبرا
صحيفةٌ قد كتب الـ ـفرندُ فيها اسطرا

*

١٦ طاول الرمحُ سيفَهُ فانثنى الرمح وانهزمْ
ولذا بات نادمـًا يقرعُ السنَّ من ندم

*

١٧ كأنّ خيولَ عسكرهِ رياحٌ اذا ما أعنقت يومًا وسارتْ
هي العقبان في كرٍّ وفرٍّ فلولا اللُّجم تمسكها لطارتْ

*

١٨ اضحى الزمان ينادي وليس حرفٌ وصوتُ
لا تنسَ في الدهر من لا ينساك وهو الموتُ

*

١٩ وعجبتُ من راياتهِ الحُمر التي شربتْ مرارًا من دم الاعداء
رفعت فجرَّت بحر جيشٍ خلفها وتولّعت بالنصب للاغراء .

*

٢٠ اصبر لدائك يا اخي ودع القلاقة والضجرْ
فالله خالقنـا لديهِ اشدُّ من هذا الخطرْ
واذا خشيتَ من العمى اصبحت ترضى بالعوَرْ

*

٢١ قد كاد يأكل نصلهُ سيفٌ تروعُ مقاتلَهْ
« والنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكلهْ »

*

٢٢ مذاكرةُ الالمعيِّ الاريبِ حياةُ النفوسِ وموتُ الكُرَبْ
فجدَّ لتحصيلها واجتهدْ فتلكَ مِسَنٌّ لسيفِ الأدبْ

*

٢٣ خذ درَّ ما في الكتب عن علاَّمةٍ سامي الهمم
فالحبرُ بحرٌ زاخرٌ والكتبُ اصدافُ الحِكَمْ

*

٢٤ على البَرِّ اجرى بحرَ جيشٍ عرمرمٍ اراناً عجيباً حين ارغى وازبدا
جداولُ بيضٍ انبتت وردة الدما وعيدانُ سمرٍ اثمرت اروُس العدى

*

٢٥ خيرِ طِرْفٍ يسبق الطَّرْ فَ وما ألطف لينَهْ
فهو بحرٌ في الفيافي ورياحٌ وسفينَهْ

*

٢٦ خفِ الصديق وان كا نَ ألميًا وحرًّا
فالشمس تحييك نورًا وقد تميتك حرًّا

*

٢٧ النفسُ جيِّدُها كأبصرَ مقلةٍ وخبيثها كالمقلة العشراء
هذي تميل الى الضياء وهذه ما ميلها الّا الى الظلماء

*

٢٨ ان رمتَ نيل المعالي فأكرم الاخيارا
فليس يكبر الّا من صغَّر الدينارا

*

٢٩ لا تلحُ من يتشكّى انَّ التشكّي دواء
واوجع الضرب ما لا يكون فيه بكاء

*

٣٠ الفهم اسنى نعمةٍ في الفتى لانـهُ قاضٍ بلطف الطباعْ
دلَّ على عقل امرئٍ فهمهُ كما على الشمس يدلّ الشعاعْ

*

٣١ تبًا لصورة دنيا شبيهةٌ بالحمره
من ذاق منها رآها مع اللذاذة مرَّهْ
اياك والسكر منها وحسبك الموت سكرَهْ

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما جاء في المشرق ٣ : ٣٧٢)

والكاتب الاديب كان في المقالة السابقة وصف الطور الثالث لتقلّب الشيعة الصابئة ودخول الآراء الفلسفية فيها. فاستتلي كلامهُ بقولهِ :

الَّا ان هذه الفِرَق وان تعدَّدت شُعبها وشعابها واختلفت اسماؤها والقابها فانها ترجع الى اربع فِرَق كبرى. وقد رأيتُ افضل متكلّمي الاشعريين سيف الدين ابا الحسن عليّ بن ابي علي الآمدي قد احسن تمييز هذه الفرق الاربع وفاق سائر كتبة العرب ومؤرخيهم في وصفها وإنعام النظر في تدقيق البحث عنها وذلك في كتابهِ الجليل المترجم «بكتاب ابكار الافكار» وهو غير مطبوع الى يومنا هذا وعزيز الوجود. ولهذا أورد كلامهُ هنا بتمامهِ اولًا اثباتًا لدرر كلامهِ ومعرفة مقالهِ وثانيًا إقرارًا بفضلهِ وعلوّ مكان كمالهِ. قال ولله درُّهُ من قائل :

« الفرقة الاولى : « اصحاب الرُوحانيات » وقد يقال ذلك بالرفع (١ أخذًا من الرَوح وهو جوهر. وقد يُقال بالنصب (٢ وهو حالة خاصّة بهِ. وقد زعم هؤلاء ان اصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدَث (٣ وهو اجلّ واعلى من ان يُتوصَّل الى جلالهِ بالعبودية لهُ والخدمة من السفليّات وذوات الانفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات. وانّما يُتقرَّب اليهِ بالمتوسّطات بينهُ وبين السفليات وهي امور روحانيّة مقدسة عن الموادّ الجِرمانيّة (٤ والقوى الجسمانية. والحركات المكانيّة. والتغيّرات الزمانيّة. في جوار ربّ العالمين. مجبولون على تقديسهِ وتمجيدهِ وتعظيمهِ دائمًا وسرمدًا. قالوا : وهم إلهتنا وارباننا ورسائلنا (٥ الى حاجاتنا. وبهم يُتقرَّب الى الله تعالى. وهي المُدبِرة للكواكب الفلكيّة. والمدبِّرة لها على التناسب المخصوص بحيث يتبعها انفعالات في العناصر السفليّة وحركات بعضها الى بعض وانفصال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المُفضي الى التركُّب الموجب لتنوُّع المركّبات الى أنواع المعادن والنبات

١) اي بضم الراء (رُوحانيّات) ٢) أي بفتح الراء (رَوحانيّات)
٣) قلتُ : وفي نسخة الحدثان ٤) قلتُ : الجرمانية نسبة الى الجِرم
٥) وفي نسخة : ووسائلنا بواو عوض الراء

والحيوانات وتصريف موجودات الاعيان من حالٍ الى حال ومن شانٍ الى شان الى غير ذلك من الآثار العلويَّة والسفليَّة . وزعموا انَّ الكواكب الفلكيَّة هي هياكل هذه الروحانيات (les éons) وان نسبة الروحانيَّات اليها في التقدير (١ لها والتدبير نسبة الأنفس الانسانيَّة الى ابدانها . وان لكل روحاني هيكلًا يخصُّهُ . ولكل هيكل فلكًا يكون فيهِ . وزعموا ان المعرِّف لهم غاذيمون (٢ وهرمس اللذان هما اصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس (٣ هو اوَّل من قسَّم البروج ووضع اسماءها واسماء الكواكب السيَّارة ورتَّبها في بيوتها وبيَّن الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل والتعديل واستقلَّ باستخراج اكثر الكواكب واحوالها وقيل ان غاذيمون هو شيت وهرمس هو ادريس عم (٤

« الفرقة الثانية : « اصحاب الهياكل » فانهم قالوا اذا كان لا بدَّ للانسان من متوسِّط فلا بُدَّ من ان يكون ذلك المتوسِّط ممَّا نشاهدهُ ونراهُ حتى نتقرَّب اليهِ . والروحانيَّات ليست كذلك فلا بدَّ من متوسِّط بينها وبين الانسان . وأقرب ما اليها هياكلها فهي الآلهة والارباب المعبودة والله تعالى رب الارباب واليها التوسّل والتقرّب . فان التقرّب اليها تقرّبٌ الى الروحانيَّات التي هي كالارواح بالنسبة اليها . ولا جرم انهم دعوا الى عبادة الكواكب السبعة السيَّارة ثم اخذوا في تعريفها وتعريف احوالها بالنسبة الى طبائعها وبيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها ونسبتها الى الاماكن والازمان والليالي والساعات وما دونها الى غير ذلك . ثمَّ تقرَّبوا الى كل هيكل وسألوهُ بما يناسبهُ من الدعوات فيما يناسبهُ من الاماكن والازمان واللباس الخاصّ بهِ والتختّم بالخاتم المطبوع على صورتهِ . والهياكل عندهم احياء ناطقة بحياة الروحانيَّات التي هي ارواحها ومتصرِّفة

١) وفي نسخةٍ : في التدبير

٢) وفي نسخةٍ آخرة : عاذيمون . بعين في الاول عوضًا عن الغين المعجمة وبدالٍ عوضًا عن الراء . والاصح ان يقال اغاثاذيمون . كما جاء في تاريخ الدول لابن العبري في الصفحة ١٣ من الطبعة الصالحانيَّة . وقد جاءت هذه الكلمة هكذا : عاذيمون بذالٍ معجمة في طبعة كتاب الملل والنحل للشهرستاني المطبوع على الحجر بالطبعة الثانية ص ١٥٢ وفي طبعة لندن ص ٢٠٢ . اما اليوم فيسميهِ الصابئة دَيْمُون او دَيْمانا ([illegible]) ٣) ويسميهِ الصابئة الحاليون : هرمز ([illegible])

٤) قلتُ : ومذهب صابئة العراق في يومنا هذا هو مذهب هذه الفرقة بعينهِ لا ينقص منهُ ذرَّة ولا يخالفهُ بشيء ولو كان زهيدًا

فيها . ومنهم من جعل هيكل الشمس ربّ الهياكل والارباب . وهذه الهياكل هي المدبرة لكل مـا في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكرهُ في تعريف مذهب الفريق الاول .
وربّما احتجّوا على وجود هذه المدبّرات وانها احياء ناطقة بان حدوث الحوادث امّا ان يكون مستندًا الى حادثٍ او قديم . ولا جائز ان يكون مستندًا الى حادث اذ الكلام فيه كالكلام في الاول والتسلسل والدَّور مُحالان فلم يبقَ الّا ان يكون مستندًا الى ما هو في نفسه قديم . وذلك القديم امّا ان يكون موجبًا بذاته او بالاختيار . فان كان الاول فامّا ان يكون كل ما لا بدّ منهُ في ايجاد الحوادث متحققًا معهُ او انهُ متوقف على تجدّدٍ . فان كان الاوّل فيلزم قِدَم المعلول والقدم علّتهُ وشرطهُ وهو محال . وان كان الثاني فالكلام في تجدُّد ذلك الامر كالكلام في الاول وهو تسلسلٌ . فلم يبقَ الّا ان يكون فاعلًا مختارًا وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار الّا الافلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها احياء ناطقة

« الفرقة الثالثة : « اصحاب الاشخاص » هؤلاء زعموا انهُ اذا كان لا بدّ من متوسط مرئيّ فالكواكب وان كانت مرئيّة الّا انها قد تُرى في وقتٍ دون وقت لطلوعها وافولها وظهورها وصفائها نهارًا . فدعت الحاجة الى وجود اشخاص مشاهدة نُصب اعيننا تكون لنا وسيلة الى الهياكل التي هي وسيلة الى الروحانيّات التي هي وسيلة الى الله تعالى . فاتخذوا لذلك اصنامًا مصورةً على صور الهياكل السبعة كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب ودعوهُ وسألوهُ بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختّم بما يناسبهُ والتبخير المناسب لهُ على حسب ما يفعلهُ ارباب الهياكل الّا انها هي المعبودة على الحقيقة . وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الاصنام .
ويُحتمل ان يكون اتخاذ الاصنام بالنسبة الى غير هذه الفرقة وتعظيمها لاتخاذها قبلةً لعباداتهم . او لانها على صورة بعض من كان يُعتقد فيه النبوّة والولاية تعظيمًا لهُ . او لان قدماء ارباب الهياكل والاصنام وعلماءهم ركّبوا طلاسم ووضعوها فيها وامروهم بتعظيمها لتبقى محفوظة بها . والّا فاعتقاد الالهيّة فيما اتخذوا صورًا من الاخشاب والاحجار وكونهُ خالقًا لمن صوّرهُ ومبدعاً لما وجودهُ قبل وجوده من العالم العلوي والسفلي ممّا لا يستجيزهُ عقل عاقل . بل البداهة شاهدة بردّه وابطاله وان وقع ذلك معتقد البعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق لهُ من العوامّ منهم فلا يُلتفت اليه ولا معوّل عليه

« الفرقة الرابعة : « الحلوليّة »(١ وهؤلاء زعموا انّ الإله المعبود واحد في ذاته وانهُ ابدعَ أجرام الافلاك وما فيها من الكواكب. وجعل الكواكب مدبّرًا لما في العالم السفلي. فالكواكب آباء أحياء ناطقة والعناصر أُمهات. وما تؤدّيهِ الآباء من الآثار الى الامهات تقبلها بارحامها فتحصل من ذلك المواليد وهي المركّبات. والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخّص باشخاصها من غير تعدُّد في ذاته وقد يظهر ايضًا في الاشخاص الارضيّة الخيّرة الفاضلة. وهي ما كان من المواليد وقد يتركّب من صفو العناصر دون كدرها. واختصّ بالمزاج القابل الظهور الرب تعالى فيهِ امّا ذاتهُ وامّا صفة من صفات ذاته على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص. وزعموا انّ الله يتعالى عن خلق الشرور والقبائح والاشياء الخسيسة الدنيّة كالحشرات الارضيّة ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادةً ونحوسةً واجتماعات العناصر صفوةً وكدورةً. وزعموا ايضًا انهُ على رأس ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا الى ما لا يتناهى. وان الثواب والعقاب على افعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذي بعدهُ في هذه الدار لا في غيرها

والصابئة على اختلافهم في المبادئ متفقون على وجوب ثلاث صلوات لهم والاغتسال من الجنابة ومسّ الميت وعلى تحريم لحم الخنزير والكلب والجزور وما لهُ مخلبٌ من الطير والسكر. وامروا بالنكاح بوليّ وشهود ونهوا عن الجمع بين امرأتين (٢ وعن الطلاق الّا بحكم حاكم شرعي. الى كثير من الاحكام المشروعة في شرعنا هذا » اه كلام سيف الدين الآمدي

وقد ذكر ابن خلدون هذه الفِرَق بعبارةٍ اخرى قال:

« ان الصابئة هم القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضيّة وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة. وتولّدت من مذاهبهم الحكمة المالطيّة. ومنهم أصحاب الروحانيّات وهم عبّاد الكواكب واصنامهم التي عُملت على تمثالها. امّا الحنفاء فهم

---

١) كذا في النسخة التي بيدي. وسماها ابن بطوطة بالحرّانيّة. وهو عندي اصحّ. وسماها الشهرستاني الحِزبانيّة وهو تصحيفٌ ظاهر مرغوب عنهُ. وزاد قائلًا : والحزبانية ينسبون مقالتهم الى عاديمون وهرمس وأعيانا (كذا والاصح على ما نعلمهُ من كتبهم الحالية أنانا ܐܢܢܐ) واواذى (كذا والاصح اواثر) اربعة من الانبياء

٢) قلت هذا غير صحيح

القائلون بأنّ الروحانيات منها ما وجودها بالقوّة ومنها ما وجودها بالفعل. فما هو بالقوّة يحتاج الى ما يوجده بالفعل ويقرّون بنبوة ابرهيم وانهُ منهم وهم طوائف منها: الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح. ومن قولهِ ان الحق بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابرهيم. ومنها: البيدانية اصحاب بيدان الاصغر. ومن قولهِ اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وان النبوة من اسرار الالهية. ومنها: القنطارية اصحاب قنطار (والاصح قينانية اصحاب قينان) بن ارفكشاد ويقرّ بنبوة نوح. ومنها: اصحاب الهياكل ويرون الشمس إله كلّ اله. والحرانية. ومن قولهم: المعبود واحدٌ بالذات وكثير بالاشخاص في رأي العيان وهي المدبّرات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية الخيّرة العالمة الفاضلة » اه

وبين اسماء هذه الفرق واسماء الفرق التي ذكرها سيف الدين الآمدي بونٌ بعيد بيّن غير ان الفرق التي ذكرها هذا العلامة الاخير هي اصحّ لانها تنطبق على حقائق راهنة ومذاهب ذكرها اغلب المؤرخين والعلماء.

٦ طور ادخال آراء نصرانيّة فيها او الطور الاخير

بقي الصابئة دهرًا طويلًا ذاهبين مذاهب الفلاسفة العظام. خابطين فيها ولا خبط عشواء في حالك الظلام. حتى انتُضي نصل الصباح الانجيلي. وبزغ جبين الصباح الجليلي. بعد ان سبقتهُ تباشيرهُ بقليل من الزمان. بشخص الوليّ الاعظم يوحنّا المعمدان. الذي نفذت كلمتهُ في القوم. اذ لم يُرَ مثلهُ الى ذلك اليوم. لا بل وان السيد المسيح. طلب منهُ العماد بكلام جلي فصيح. فرأى البعض في ذلك علوَّ منزلة الحَصُور. فوق منزلة المسيح الطاهر الطهور. وقد حاول الصابغ مراتٍ كثيرة. صدّ تلامذتهِ عن هذه الاوهام الكبيرة. فكأنهُ كان يضرب في حديد بارد. او يُوردهم شرَّ الموارد. فلجأ الى وسيلة ظنَّ انها تكون الضربة القاضية. وانها تفعل فيهم فعل السيوف الماضية. وذلك انهُ « ارسل اثنين من تلامذتهِ يقولون لهُ: أأنت الآتي ام ننتظر آخر » (متى ١١ : ٣) وكما اننا نعلم العلم اليقين ان يوحنا لم يشكّ ساعةً بالوهيَّة المسيح وبعثتهِ لفداء العالم. لم تكن اذن الغاية من هذا الاستفسار والاستخبار الّا تهذيب عقول تلامذتهِ الذين لم تنجع فيهم اساليب الكلام فأراد بهذه الواسطة ان يُري لبعض من تلامذتهِ الشاكّين المرتابين ان اعمال المسيح التي يراها الشاهدان رأي العيان انما هي آيٌ لا يأتيها الّا من كان نبيًّا عظيم الشأن او إلهًا حقيقيًّا لهُ ملء السلطان. على عناصر الارض والاكوان. واننا لا نشك في ان كثيرين من هؤلاء التلامذة المتلمذين ليوحنّا المعمدان بقوا على عماهم ورانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون وانضمّوا بعد ذلك الى بعض المتشدّقين

المتفلسفين الذين أرادوا ان يجمعوا بين مخترعات ومبتدعات مخيّلتهم وبين التعاليم الصحيحة وانتحلوا لهم اسم « مَنداني دْيَهيي » اي تبَعة يحيى .

وذلك انهُ لمَّا صعد المسيح الى السماء واخذ رسلهُ يبشرون بالانجيل قام وتنبّأ واحد ممَّن آمن بابن الله واعتمد على ايدي الرسل واسمهُ سيمون ينشر وباء تعاليم فاسدة لان الحواريين لم يعطوهُ ذلك الذي ينال بهِ الانسان حلول الروح القدس على من توضع عليهِ ايدي المزوَّد بتلك القوَّة (راجع اعمال الرسل في الفصل الثامن) وكان من امرهِ انهُ فيما بعد ذلك غدا رأسًا للشيعة الممقوتة التي سُمّيت بعد زمانٍ باسم « الأَدرية » (gnostiques). ثم جاء بعدهُ من حذا حذوهُ واقتفى اثرهُ من مثل كَرِنكراس وباسيليد وڤالنتين وساترنين الانطاكي ومَيْنَدَر السامريّ فطبّقت مذاهبهم الشرق كلهُ واندفع وراءهم تلامذة يوحنَّا الضالُّون وادخلوا في معتقدهم شيئًا كثيرًا من آراء الأدريين واقوالهم الدينيَّة وسُنَنهم واحكامهم حتى أصبحوا ادريّين حقيقيّين لا غير كما تشهد بذلك كتبهم الدينيَّة الحاليَّة . وكما ينطق بهذه الحقيقة الراهنة معنى اسمهم الحقيقي بلسانهم وهو « مَندايي » الذي معناهُ: « أدريُّون » كما سنثبتهُ في موضعهِ فيما يلي . وهو امر لم ينتبه اليهِ حتى الساعة علماء الافرنج وحكماء الشرق والكتبة عن الملل والنحل

وانما هؤلاء التلامذة وقعوا في مهواة هذه الغواة لان ذلك من نتيجة اصحاب الضلال فانهم يتشبَّثون بكل بدعة جديدة طلبًا للحق الذي يشعرون بخلوّهم منهُ فتتعدَّد بينهم الاقاويل وتكثر فيهم الاضاليل ولا يمكنهم التثبُّت في صراط واحد لانَّ مثل هذا هو من خواصّ الحقيقة التي لا تكون الّا واحدة ثابتة غير متزعزعة . ولهذا قام بينهم مُصلحون كثيرون وائمَّة عديدون حتى ازدادت بعد ذلك تلك الفرق ولم يكن من الممكن حصرها اذ كل واحدة تدَّعي بالحقّ والحقّ بريء منها

هذا وكما ان في ديانة الادريين شيئًا كثيرًا من ديانة النصارى ظنَّ بعضهم انهم فرقة منهم حتى انهم سمَّوهم بنصارى يوحنا المعمدان (Chrétiens de S^t^. Jean-Baptiste) لكن هذا خطأ وزلل لا بل خطَل جلَل ركب متنَهُ الافرنج ولم يقل بهِ احدٌ من ابناء الشرق الّا باستنادهم على أقوال ابناء الغرب او نقلًا عنهم . وهذه التسمية لا تليق بهم ولا تحسن ولا هم ينتحلونها لنفسهم لانَّ « المسيحي » من آمن « بإلهيَّة المسيح لا بنبوتهِ » والحال ان المندائيين لا يؤمنون لا بلاهوتهِ ولا بنبوتهِ ان استقرينا ديانتهم

في كتبهم الدينيَّة. فكيف تجوز للبعض تسميتهم بالنصارى. اللهمَّ الّا أن يُقال انَّما سمَّاهم البعض بالنصارى لان اصل الادريين من النصارى فيكون ذلك حينئذٍ من باب تسمية الشي. باسم ما كان عليهِ في اصلهِ. قلنا: ان هذا التأويل وان كان جائزًا وجاريًا في الكلم اللغويَّة الّا انهُ لا يجوز في المصطلحات الدينيَّة اذ في مثل هذه الامور يجب التدقيق التـام والتحقيق الكامل. والّا اختلط الحابل بالنابل. ولم يُعرف العاقل من الجاهل. والمتديّن بدين الحقّ الصادع. من المتديّن الكاذب المموَّه بالظواهر الخوادع

هذا ونقف عند هذا الحدّ من الاطوار المظام. وهو الطور الاخير الذي انتهت اليهِ الصابئة في أُخريات الأيَّام. وفي ما نوردهُ بعـد ذلك من الكلام. امور تثبت ما اسلفناهُ من تعريف هذه الفرق او هذه الاقسام. ومن الله التوفيق الى سواء سبيل المرام

(ستأتي البقيَّة)

وصف الصين للقلقشندي

نبذةٌ تولى نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي

عثرنا في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي على نبذة في وصف مملكة الصين فاحببنا اثباتها هنا بنسبة الحوادث التي تجري اليوم في الشرق الاقصى. وجلُّ ما يُستفاد من هذه القطعة انَّها تعرّفنا احوال الصين في بداية القرن الخامس عشر وقد ضمَّنها المؤلف خلاصة ما وجدهُ في بعض كتب البلدان التي اشتهرت في زمانهِ واخذت قسمًا منها يدُ الضياع. امَّا القلقشندي فقد مرَّ ذكرهُ في المشرق غير مرَّةٍ (٣: ٢١٠ و٤: ١٤) فلا حاجة للتكرار

مملكة القان (١ الاكبر

قال في التعريف (٢: وهو اكبر الثلاثة يعني ملوك الاقسام الثلاثة المتقدّمة الذكر (٣

---

١) القان ملك التتار ويقال لهُ ايضًا الخان. وجاء في ابن العبري قان بالقاف هاويتين

٢) هو كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» للقاضي شهاب الدين ابي العبَّاس احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري الدمشقي مولدًا وهو كتاب واسع ضمَّنهُ مراسم الملك وما يتعلّق بهِ. وفي المكتبة الخديوية (٤: ١٣٩) منهُ نسخة. توفي مؤلفهُ في مصر سنة ٧٠٠ (١٣٠٠م)

٣) قسم القلقشنديّ مملكة توران الى ثلاثة اقسام كما في كتاب التعريف يشمل القسم الاول غزنة وبخارى وماوراء النهر والقسم الثاني بلاد خوارزم والقبجاق والقسم الثالث الصين والخطا ودعاه مملكة القان الاكبر

وهو صاحب الصين والخطا (١ ووارث تخت جنكزخان (٢ . قال : وقد تواترت الاخبار بانهُ اسلم ودان بدين الاسلام ورقم كلمة التوحيد على ذوائب الاعلام . قال : وان صحّ وهو المؤمَّل (٣ فقد ملأت الأمة المحمديّة الخافقين وعمّرت المشرق والمغرب وامتدّت بين ضفتيّ البحر المحيط . قال في مسالك الابصار (٤ : وهو القائم مقام جنكزخان (٥ والجالس على تخته . قال : وهو الخليفة على بني عمه من بقيّة ملوك توران من مملكة ايران وصاحب القبجاق وصاحب ما وراء النهر فاذا تجدَّد في مملكة احد منهم مهمٌ كبير مثل لقاء عسكر او قتل امير كبير بذنب او ما يناسب ذلك ارسل اليه واعلمهُ به وان كان لا افتقار الى استئذانه ولكنّها عادة مرعيّة بينهم . وقد ذكر في مسالك الابصار عن نظام الدين بن الحكيم الطياري : انهُ لم يزل يكتب الى كل من القانات الثلاثة بأمرهم بالاتّحاد والالفة واذا كتب اليهم بدأ باسمه قبلهم وان كتبوا اليه بدأوا باسمه قبلهم . قال : وكلهم مذعنون لهُ بالتقدّم عليهم . قال في مسالك الابصار : واهل هذه المملكة هم اهل الاعمال اللطيفة والصنائع البديعة التي سلّمت اليهم بها الامم وقد كتبت الكتب عن احوالهم بما اغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين في الصنائع انهم اذا عملوا عملًا بديعًا حملوهُ الى باب الملك وعُلّق عليه ليراهُ الناس ويبقى سنة فان سَلِمَ من عائب اسدى الى صاحبه الاحسان وان عِيب عليه وتوجّه العيب وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب الى من عابهُ

وقد حكى المسعودي في مروج الذهب (٦ ان صانعًا صوَّر عصفورًا على سنبلة في نقش ثوب كخا وعلّقهُ فاستحسنهُ كل من رآهُ حتى مرَّ به رجل فعابهُ باستقامة السنبلة لان العصفور من شأنه اذا وضع على السنبلة امالها . وحكى في مسالك الابصار عن بدر

١) سيأتي ذكر الخطا قريبًا

٢) فتح الصين قوبلاي حفيد جنكزخان سنة ١٢٦٠ م وبه ابتدأت عندهم الدولة المنغولية المعروفة بدولة يوان التي ملكت الى سنة ١٣٦٨

٣) لم يتحقّق هذا الامل فان امراء المغول في الصين مع ميلهم الى الاسلام تبعوا ديانة الصين القديمة

٤) مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار تأليفُ وضعهُ ابن فضل الله الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٩ ه (١٣٤٨ م) في عشرين مجلدًا

٥) جنكز خان هو الفاتح الكبير الذي انشأ دولة المغول فتوفي سنة ١٢٢٧ . راجع اخبارهُ في كتاب تاريخ الدول لابن العبري (ص ٣٩٥–٤٣٨)

٦) راجع ايضًا مجاني الادب ١ : ١٢٦

الدين حسن الاسعردي ان بعض صنّاعهم عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكمخاوات الخطائية لا يشكّ فيها شاكّ ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منهُ. وحكي عن الشريف حسن السمرقندي(١ انهُ كان بهذه البلاد فشكى ضرسهُ فاراهُ لرجل من الخطا فوضع يدهُ عليهِ فاخرج منهُ قطعة متأكّلة ووضع مكانها قطعة من ضرس اجنبي ودهنهُ بدهن وامره ان لا يشرب ماء يومهُ فالتصق حتى صار كأنّهُ من اصل الخلقة الّا انّ لون الاول بيّن من لون الثاني. وذكر المقرّ الشهابي(٢ انهُ رآهُ لهُ بحضرة الشيخ شمس الدين الاصفهاني وجماعة من اهل العلم. قال بدر الدين حسن الاسعردي: ولقد رأيت منهم من هذه الاعمال ما يحار فيهِ العقل ويحصل الغرض منهُ في خمس جمل

الجملة الاولى

فيما اشتملت عليهِ هذه المملكة من الاقاليم

واعلم ان هذه المملكة هي اوسع ممالك بني جنكزخان وافسحها جوانب واكثرها اقاليم واوفرها مدناً غير انّها بعيدة المسافة منقطعة الاخبار فلذلك جهلت اسماء اقاليمها وتعذرت الاحاطة باقطارها ونحن نورد منها ما شاع ذكرهُ في الآفاق وانتشر ونقتنع من التفصيل بالجملة ونكتفي من البحر بالنّغبة. والقول الجلي في ذلك انهُ يشتمل على اقليمين عظيمين

الاقليم الاول: الصين

قال في تقويم البلدان: وبهِ من جهة الغرب المفاوز التي بينهُ وبين الهند ويحيط بهِ من جهة الجنوب البحر يعني بحر الهند (٣ ويحيط بهِ من جهة الشرق البحر المحيط ويحيط بهِ من جهة الشمال ارض يأجوج ومأجوج وغيرها من الاراضي المنقطعة الاخبار عنّا. ثمّ قال: وقد ذكر اصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلاداً كثيرة ومواضع وانهاراً وغيرها في اقليم الصين ولم يقع لنا ضبط اسمائها ولا حقيق احوالها فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين الينا لنستعلم منهُ اخبارها فاضربنا عن

١) هو الشريف تاج الدين حسن بن جلال السمرقندي الوارد ذكرهُ آنفاً

٢) هو شهاب الدين صاحب التعريف الذي مر ذكرهُ (ص ٤٠٦)

٣) هذا باعتبار الهند الصينية قسماً من دولة الصين. وكلّ هذا الوصف نقلهُ المؤلف من تقويم البلدان لابي الفداء

ذكرها . وقد ذكر في مسالك الابصار عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال السمرقندي وهو من السفّار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجال بلاده وجاب آفاقهُ وجاس خلالهُ وجال في اقطاره انّ بالصين الف مدينة وانهُ دارَ الكبير منها قال: وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد الى بلد ومن قرية الى قرية

وقاعدة هذه المملكة (خَانْ بَالِق (١) قال في تقويم البلدان: هي مدينة من اقاصي الشرق عند بلاد الخطا واقعة في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد: حيث الطول مائة واربع عشرة درجة والعرض خمس وثلثون درجة وخمس وعشرون دقيقة وهي قاعدة مشهورة على ألسنة التجار واهلها من جنس الخطا وعندهم معادن الفضّة . قال ابن سعيد: ويُذكر عن عظم هذه المدينة ما يستبعدهُ العقل . قال في مسالك الابصار نقلًا عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي: ان مدينة خان بالق المذكورة مدينتان (٢ قديمة وجديدة . والجديدة منهما اسمها ديدو بناها ديدو آخر ملوكها فسميت باسمه والقان الكبير ينزل بوسطها في قصر عظيم يسمّى كوك طاق (٣ ومعناه بلغة المغل القصر الاخضر لان الطاق معناهُ عندهم القصر وكوك معناهُ الاخضر ومنازل الامراء حولهُ خارج القصر . قال: وهي مدينة طيبة واسعة الاقوات رخيّة الاسعار ويجمد بها الماء في زمن الشتاء فيصير كالثلج فيُرفع الى أيام الصيف حتى يبرّد به الماء كما يُبرَّد بالثلج ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر (٤ وبها انواع الفواكه الّا العنب فانهُ قليل بها وليس بها نارنج ولا ليمون زيتون ثم يعمل بها السكّر وبها من انواع الزرع والجمال والخيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الاحصاء . وبالصين مدن مشهورة سواها

منها (قُرَاقُوم (٥) هي مدينة في اقاصي بلاد التُرك الشرقيّة ومعنى قراقُوم باللغة التركية الرمل الاسود لان قرا في لغتهم بمعنى الاسود وقوم بمعنى الرمل . ويقع في

---

١) خان بالق من اسماء مدينة با كين (راجع المشرق٣ : ٧٤٥)

٢) با كين الى يومنا هذا تقسم الى مدينتين المدينة التارية او المغوليّة والمدينة الصينية

٣) هذا القصر موقعهُ في وسط المدينة التارية قد وصفهُ ابن بطوطة في رحلتهِ (٤ : ٢٦٧)

٤) والصواب انّ الذي يشق المدينة ليس نهر بل ترعة كبيرة

٥) ويقال قراقرم ايضاً (ابن بطوطة ٤ : ٢٠٣) . وعلى هذه الصورة اوردها الجغرافيون الاوربيّون (راجع جغرافية روكلو Reclus : *Nouvelle geog. universelle* VII 284

كثير من الكتب قراقُرم بابدال الواو راء وهو خطاء. وانّما كتبت الواو بها بعد القاف دليلًا على الضمّة على عادتهم في ذلك وموقعها في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول مائة وست وخمسون درجة والعرض خمس وثلثون درجة وخمس وعشرون دقيقة. قال: وهي كانت قاعدة التتر وفي جهاتها بلاد المغل وهم خالصة التتر ومنها خاناتهم. قال الشريف حسن بن الجلال السمرقندي: وفيها غالب عساكر القان الكبير وبها يعمل القماش الفاخر والصنائع الفائقة وغالب ما يحتاج اليه القان يستدعى منها لانها دار استعمال واهلها اهل صنائع فائقة. قال في مسالك الابصار: وهي قرية جنكزخان التي اخرجتهُ وعرِّيستهُ التي ادرجتهُ

ومنها «الخنسا (١)» قال في تقويم البلدان: هي مدينة واقعة في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة. قال في تقويم البلدان: حيث الطول مائة وخمس وستون درجة واربعون دقيقة والعرض ثمان وعشرون درجة وثلثون دقيقة. قال: وعن بعض المسافرين من بلادنا ان الخنسا في هذا الزمان اعظم فُرَضِ الصين واليها ينتهي وصول التجّار المسافرين من بلادنا. قال الشريف السمرقنديّ وطول الخنسا يوم كامل (١ وعرضها نصف يوم وفي وسطها سوق واحد ممتدّ من اولها الى آخرها واسواقها مبلّطة بالبلاط وبناؤها خمس طبقات بعضها فوق بعض وكلها مبنيّة بالاخشاب والمسامير. وشرب اهلها من الآبار واهلها في تقشف عظيم وغالب اكلهم لحوم الجاموس والاوز والدجاج. وفيها الارزّ والموز وقصب السكّر والليمون وقليل من الرمان واسعارها متوسّطة ويجلب اليها الغنم والقمح على قلة ولا يوجد فيها من الخيل الّا ما قلّت عند اعيانها واما الجمال فلا توجد فيها البتة فان دخلها جمل تعجّبوا منهُ ونقل في مسالك الابصار ان بينها وبين جالق (كذا) بالتي اربعين يومًا. وحُكي عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادي انهُ

---

١) هي مدينة هانغ تشيو (راجع المشرق ٣: ٨٤٦). ودعاها ابو الفداء في تقويم البلدان: خانقو. قال (ص ٣٦٣): خانقو المعروفة في زماننا بالخنساء

٢) وقد زاد ابن بطوطة على هذا الوصف فجعل (٤: ٢٨٤) طول هذه المدينة مسيرة ثلاثة ايام. وكذلك الرحّالة ماركو پاولو (١٢٥٣–١٣٢٣) استرسل في وصف هذه المدينة وهو يدعوها كنساي (Quinsay) ويذكر ان لها ١٦٠٠٠٠ بيت و ٣٠٠٠ حمّام و ١٢٠٠٠ جسر من حجر يقوم على حراسة كلّ جسر عشرة رجال فهذا الوصف مع ما فيه من الغلو يدل على خطر المدينة وعظم شأنها ودائرتها اليوم تبلغ ٢٠ كيلومترًا

وصل الى الخنساء. ووصف عظمة بنائها ومنعة رفعة مدينتها مع تشخُّط الاقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص الدقيق الجيد فيها وفي جميع تلك البلاد. قال: واهلها يتفاخرون بكثرة الجواري والسراري حتى انهُ ليوجد لاحد التجار واحاد الناس اربعون سرّيَّة فما زاد على ذلك

ومنها «الزيتون(١)» قال في تقويم البلدان عن بعض المسافرين الثقات: هي بلفظة الزيتون الذي يُعصر منهُ الزيت وهي فُرضة من فُرَض الصين موقعها في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول مائة واربع عشرة درجة والعرض سبع عشرة. درجة قال: وهي مدينة مشهورة على السنة التجار المسافرين الى تلك البلاد وهي على خور من البحر والمراكب تدخل اليها من بحر الصين في الخور المذكور وقدرهُ نحو خمسة عشر ميلاً ولها نهر عند رأس الخور المذكور. وذكر في مسالك الابصار عن الشريف السمرقندي ان مدينة الزيتون على البحر المحيط وهي آخر العمارة. قال: وبينها وبين جالق بالتي شهر واحد (التتمة لعدد آخر)

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

آثار بيروت الجويَّة

بردها

اذا ما سمعنا اهل الجبل يشكون في بيروت تباريح بردها الشتوي ويؤكدون ان لقرّها نفحاتٍ لا يشعرون بمثلها في قراهم ربَّما حملنا قولهم على الغلوّ والمبالغة مع انهُ لا يخلو من صحة لانَّ البرد في مواطنهم الجبليَّة يكون في الغالب ناشفاً لا ينفذ مسامّ البدن كبرد بيروت المشبَّع رطوبة. وعلاوةً على ذلك ترى البيوت في لبنان مجهَّزة بالمواقد فيتقي الاهلون كَلَب الشتاء بالاصطلاء بالنار. امَّا بيروت فما دأب سكَّانها سوى ان يزخرفوا بيوتهم فتراهم يبتاعون من الأثاث والرياش ما ليس تحتهُ كبير امر فيجعلون منازلهم كتحف يعرضون فيه عدَّة ادوات من آنيةٍ واصداف وتصاوير الى غير ذلك ممَّا يعدُّهُ اصحاب الذوق بهرجةً نافلة. وكان الاحرى بهم ان يفضّلوا في تجهيز

١) هي مدينة تسوتُنغ (راجع المشرق ٣: ٧٤٥)

البيوت ما يؤول الى امر الصحَّة كتدفئة المسكن مثلًا . وبهذا يحسنون الاقتداء بالفرنج الذين يقدّمون في تأثيث دُورهم ما فيهِ راحة البدن على اسباب الزخرف

واني ارى تدفئة البيوت في بيروت من الامور الضروريَّة لاتقاء الرطوبة الزائدة التي تحدث في هذه المدينة ولعلَّ هذه الواسطة احسن طريقة لإزالة النزلات الصدريَّة والزكام كما سنبيّن ذلك في كلامنا عن المساكن . والأولى ان تُختار لذلك موقدة (cheminée) تكون على شكل حاملة (console) فتفيد الصحَّة وزينة البيت معاً

ربيع بيروت طيّب والسماء في هذا الفصل صافية الاديم اللهمَّ إلَّم يتعدَّ الشتاء طورهُ ويجرَّ ذيلهُ الى شهر ايار فيتكدَّر اذ ذاك صفو الربيع وهذا من نوادر الامور . وفي هذا الفصل تهبُّ السموم او الريح الشرقيَّة التي يدعوها العامَّة « بالشلوق » وهي تدوم أيَّاماً وفي أبان هبوبها يصعد ميزان الحرارة حتى يبلغ ٣٠° الى ٣٣° ألا انَّ الرطوبة تخفُّ وتنزل فتهبط الى الدرجة ٣٥° و ٤٠° اي نحو نصف درجاتها العاديَّة وكذلك يسقط البارومتر الى الدرجة ٧٤٠° . ولفحات السموم في بيروت اخفُّ وطأةً منها في الجبل لرطوبة الهواء في جوار البحر

امَّا الخريف فالغالب عليهِ الحرّ الى ١٤ ايلول . وهو تاريخ يألفهُ الجميع لانقلاب الهواء فيهِ . وفي ذلك الوقت تُجاد الارض بالوسميّ اى المطر الاوَّل ثمَّ يكرّ الحرّ ثانية فلا يتلطَّف لظاهُ حتى يهطل الوليّ في اواسط تشرين الاوَّل . واذا كانت اواسط تشرين الثاني تزل المطر وابلًا ضخم القطر شديد الوقوع فيدوم الى اواخر شباط بفترات معلومة . وفي غضون ذلك ينفح القرّ ويشتدّ البرد

امَّا حرارة الصيف فقلَّما تتجاوز الدرجة ٣١° او ٣٣° ألا انها ثقيلة الوطأة لدوامها على ميزان واحد بالتقريب في شهر تموز وآب وايلول وتشرين وخصوصاً لاستواء درجة الحرارة في الليل والنهار فلا يكاد الفرق بين اعلى درجة الحرارة عند العصر واسفلها عند الفجر يتجاوز درجتين . فتوالي الحرارة على مُعدَّل واحد وكثرة الرطوبة الجويَّة التي تُندي الجسم بالعرق يضعفان البنية . ويورثان البدن فقر الدم المعروف بأنيميا البلاد الحارَّة . وتحدث من جرَّاء ذلك بثور جلديَّة متنوّعة ويضطرب الجهازان الهضمي والعصبي ويغلب الارق على النائم ويفقد المرء شهوة الطعام وذلك ممَّا يزيد الدم فقراً والانيميا قوَّةً

فحالة الهواء. هذه هي التي تضطرّ اهل بيروت الى الفرار من وقدات حرّ السواحل للاصطياف في قرى لبنان المتازة بطراوة جوّها وجودة هوائها وجميل مناظرها فضلًا عن انّ كل بلدة تختصّ بجزئيّة معلومة توافق الامزجة على اختلافها. وبهذه النسبة نقترح على زملائنا الاطبّاء القاطنين في انحاء لبنان الخوض في هذا الموضوع فيصف كلّ منهم ما خصّ الله به ناحيته من المزايا ويرصدها رصدًا علميًا مدقّقًا مع بيان خواصّها الصحيّة ليكون اهل المدن على بصيرة ويوجّه اطبّاء بيروت عيالها الى الجهات التي يرونها افضل وانسب لامزجتهم

الرياح

يؤخذ من رصد هبوب الرياح في بيروت انّ للريح الغربيّة فيها السهم المعلّى فانّها غالبة عليها بنسبة الخمسين بالمائة. واكثر هذه الارياح هبوبًا نكباء الغرب والجنوب ثمّ الدبور او الريح الغربيّة ثمّ نكباء الغرب والشمال امّا بقيّة الرياح فهبوبها يكون على الترتيب الآتي: الريح الجنوبيّة فالشماليّة فنكباء الشرق والشمال فالشرقيّة وهي اقلّها هبوبًا. وهذا جدول يبيّن حالة الرياح وتواتر هبوبها. وهو نتيجة ٤٠٤٦ رصدًا اجراها اصحاب الخبرة في مدّة اربع سنوات صباحًا وظهرًا ومساء

نكباء الجنوب	١٠٩٢	نكباء الشمال والغرب	٣٠٣
الدبور او الريح الغربية	٩٣٧	نكباء الشمال والشرق	١٩٦
الريح الجنوبية	٨١٦	الصبا او الشرقية	١١٣
الريح الشمالية	٥٩٣		

وهذه الرياح مع اختلاف مهبّها تكون في الغالب ليّنة رخاء. واذا اشتدّت قلّما تكون عاصفة. وان كانت الريح نافجة فتندر اذ ذاك يهطل الامطار المدرارة

ومن معرفة طبائع الرياح ومهابّها يمكن الوقوف على بعض القوانين الصحيّة التي اهتدى الاهلون الى شيء منها بالسليقة الواقية منها. جعلهم المطابخ والمراحيض في الجهة الشرقية لئلا تنبعث روائحها الكريهة الى داخل المسكن لو وُضعت في جهة الغرب حيث تتغلّب الريح الغربية على سواها

واذ تقرّر ذلك يتحتّم على السكّان ان يطلوا الجهة الغربيّة من منازلهم بشيد يمنع الرطوبة او برواق يقي الحيطان من الامطار التي تأتي بها الريح الغربيّة. ولهذه العلّة ايضًا يحسن بالبلديّة ان تغرس الاشجار في رمال رأس بيروت وتحوّل كثبان

الرمل فيها الى غابات تروق العين وتلطف أوار الحرارة التي تحملها الريح بمرورها على تلك الناحية حتى اذا بلغت البلدة وطّبت الابدان دون ان تثير في الجوّ الهبوات والغبار. ولذلك يترتب على الاهلين الّا يطرحوا نفاياتهم ويلقوا الاقذار على تلك الكثبان لانَّ رائحتها تنتشر في المدينة بهبوب الريح الغربيَّة عليها

امَّا الريح الشماليَّة فهي التي تُعرف في بيروت بالسماويَّة ولعلَّهم دعوها بذلك لصفاء السماء عند طلوعها. واكثر ما تهبّ هذه الريح في فصل الشتاء. وهي مشهورة بأذاها والحقّ يقال انهُ في ايَّام نفحاتها تحصل النزلات على اختلافها كزكام الانف والحنجرة وشعب الرئة وغيرها. والسبب في ذلك اجتماع الرطوبة والبرودة فيها واذا هطل معها المطر دفعتهُ الى داخل البيوت من خلال الواجهات المطلَّة على البحر شمالاً

(ستأتي البقية)

شجرة القشطة

لجناب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر

القشطة احدى الاشجار المثمرة التي اتحفنا بها العالم الجديد اصلها من جبال الأند في اميركا الشماليَّة. وهي تُعرف بلسان العلم باسم انونا (anona cheirimolia) والفرنج يدعون شجرتها « anonier » او arbre à crême فعرَّبها اهل بلادنا بشجرة القشطة وكان اول دخولها في برّ الشام في القرن السابق غرسها المرحوم عبد الله باشا اولًا في بستانهِ المعروف بقصر البهجة قرب عكَّا نحو سنة ١٨٣٠ ولعلَّهُ نقلها من مصر. ثم غرسها في بيروت الخواجا الياس منَّى حيث تشيَّدت الآن كنيسة السيدة للروم الاورثدكس. وفي سنة ١٨٥٧ اتى الدكتور ابراهيم بك النجَّار بفسيلتين من القشطة من مصر فغرس احداها في جنينتهِ قرب كنيسة مار مارون واهدى الثانية جدَّنا المرحوم بطرس اصفر فانتشرت من ثمَّ حبوب الشجرة واغراسها حتى شاعت في سواحل الشام

لشجرة القشطة ثمرة مستديرة الشكل مخروطة الرأس كالصنوبر وحجمها في حجم الليمونة الكبرى يبلغ وزنها ٥٠٠ غرام وازيد وقشرتها خضراء ذات تقاطيع وفلوس

جبة تحتها مادّة بيضاء قشطيّة ممسّكة طيّبة الذوق لذيذة الطعم. ضمنها غالباً بزر كثير شديد السواد

وشجرة القشطة معتدلة الطول لها اغصان متدلية وتربتها اوراق كبيرة تامّة بهيّة الخضرة تضرب الى البياض في اسفلها. امّا إنماء هذه الشجرة فبأن يُزرع بزرها في شباط من ١٥ منهُ الى آخر آذار فيذرّ في نيسان ويزكو. فان كانت الفسائل قليلة يمكن زرعها في التربة المعدَّة لها او تجعل في قحوف خزفيّة. امّا اذا وضعتها في مدارس فلا بدّ ان تُبعد كلّ حبّة عن اختها نحو ٣٠ سنتيمترًا وفي الربيع تُنقل الفسائل الى اماكنها والأولى ان يكون نقلها الى مدارس فسيحة رحبة. امّا الاغراس التي مرّ على نباتها سنتان فتُنقل في الربيع الى اماكنها مع المدَرة المحيطة بها

واعلم انّ الاغراس النابتة من الحبوب تأتي باثمار طيبة الّا ان جناها ألذّ ذوقاً اذا طُعِمت بطعم اشجار جيدة العنصر. ويحسن تطعيم الفسائل بعد سنتين بشقّها

وشجرة القشطة تأتي بثمرة او ثمرتين لثاني سنة غرسها في تربتها المخصوصة بها ولعلّها تبلغ احياناً ثلاث ثمرات او اربعاً. وفي سنتها السادسة يكون جناها من ١٥ الى ٢٠ ثمرة. وترى اذ ذاك الشجرة تبسق فتبسط افنانها لاسيما اذا وقيتها من نفحات الريح الشماليّة وكانت تربتها غنيّة سهلة الترشح وكثر سقيها في الصيف خصوصاً في اوان ازدهارها. فاذا بلغت السنة العاشرة من عمرها توفر ثمرها الى الخمسين او الستين ثمرة

وفاكهة القشطة تُباع الآن في اسواق بيروت في شهري تشرين الثاني وكانون الاول يبلغ ثمن الواحدة منها ٢٠ بارة الى قرشين ونصف. وهي تُجنى في بعض حدائق البلدة من اشجار زاهية نامية. ومن استطعم هذه الثمرة لاول مرّة استطابها في الغالب ولا نشك في كثرة رواجها لو توفّر مبيعها بنموّ مغارسها وهرادة اسعارها

وعندنا انهُ يحسن بارباب الفلاحة ان يوسّعوا نطاق زراعة هذه الشجرة بعد ان تحقّقوا ما تأتيهم من الارباح وعرفوا مُجمل احوالها وكيفيَّة القيام بامرها. ولا يصعب نقل ثمرها من مدينة الى أخرى مع وَفرة اسباب المعاملات. وانّما يتحتم وتقتضي قطف الثمر وهو اخضر جافٍ قبل ادراكه باسبوع ونيّف فاذا بلغ المراد نضج وطاب وهو لا يصلح للاكل الّا عند تمام استوائهِ وذلك اذا فاح لهُ عرفٌ طيّب ولانت قشرتهُ

عند المسّ تُفتح الثمرة وينزع عنها لُبها الذي ينفصل بكل سهولة عن حبوبهِ المديدة الكبيرة

فمّا سبق ترى انّ القشطة من الأشجار التي يحقّ لاهل بلادنا ان يربّوها. ولكن هلمّ بنا نبحث عن الارباح التي يمكن البستاني ان يأملها من زرعها. فلنفترض انك تخصص هكتارًا من عقارك لزراعة شجرة القشطة وانك تغرس في هذه المساحة ٢٠٠٠ نصبة فقط وهو عدد قليل بالنسبة الى سعة المكان. فان كان معدَّل الاثمار لكل شجرة ٣٠ ثمرة تبيع الواحدة عشر بارات كان ربحك ١٥٠٠٠ قرشًا

فان خصمتَ من هذا المبلغ:

	قروش
١ً تكاليف الحراثة. ست دفعات في السنة او اثنا عشر يومًا بثمن ٣٦ قرشًا في النهار	٤٢٠
٢ً تسميد التربة بان تضع عليها كل خمس سنوات ٥٠ غرارة من زبل الغنم او الماعز بثمن ٦٠ قرشًا لكلّ غرارة. اي في السنة	٦٠٠
٣ً سقي الارض بالناعورة نحو	١٤٠٠
واذا زدت على هذه النفقات:	
٤ً فائض راس المال الذي دفعتهُ لابتياع الارض بثمن ١٠٠٠٠ قرش اعني قرشًا لكلّ متر مربَّع. فان حُسب الفائض ٩٪ حصل	٩٠٠
٥ً فائض النفقات اللازمة لاقتناء اغراس الشجر مع ما يلحق من المصاريف من غرسها ونظارتها وكلفة الحراج الى زمن اثمار الشجرة	٨٠٠
	٤١٢٠

فان طرحنا هذا الخارج من المحصول كان الربح ١٠٨٨٠ وهو كما ترى كسب طائل مع اننا في حسابنا السابق كثَّرنا المصروف وقلّلنا الربح

واعلم انّ لشجرة القشطة آفةً وهي الدودة البيضاء المدعوَّة بلسان العلم (Dacty-lopius) تتسلط على كبار الشجر فتضربها العفونة وتذهب بمحاسن الثمرة. وهذه الدودة تختفي في فصل الشتاء في شقوق القشرة وفيها تبيض ثمَّ تغي بيضها بمادة غرويَّة قطنيَّة تفرزها من مؤخرها. فاذا نما الصغار سَرَوْا الى اوراق الشجرة ثمَّ اجتازوا الى اثمارها فأفسدوها بسائلهم الابيض وببرازهم ومنهما تتكوَّن عفونة يدعونها فوماجين (fumagiene)

وهذه الدودة التي تصيب غير شجرة القشطة كالليمون والعنب يمكن اتلافها بان يُطلى الشر بمزيج من عصير التبغ او البترول او كبريتات الحديد او كبريتات النحاس وكيفيَّة طلائه ان تأخذ صمامة من الخرق تبلُّها بالمزيج فتطلي بهـا الشرة او تنضحها بضحَّة صغيرة. ومن الوصفات الحسنـة ان تمزج ٨ ليترات من البترول باربعة ليترات من


شجرة القشطة وثمرها

الماء و١٧٥ غراماً من الصابون فتسخّن اوَّلًا الماء المزوج بالصابون حتى اذا غليا تصبّهما في البترول وتمزجهما مزجاً حسناً فترى على وجه المزيج رغوة كالزبد تتكاثف اذا بردت. فهذه الزبدة حسنة لقتل الدودة المذكورة. وان اردت استعمالهـا تصبّ عليها ماء بارداً فتنضحهُ على الشجرة

وفي الختام نوصي ارباب الزراعة بان يفردوا في بساتينهم محـلًّا لشجرة القشطة أو يغرسوا منها عددًا وافرًا فتأتيهم في اواخر الخريف بثمر طيب يأكلون منهُ وينتفعون بأرباحه

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٦

وكانت اجراس الكنائس في مدينـة جبيل تدقّ طول النهار والناس في الشوارع والأزقَّة الضيقة بين ذهاب ومجيء متواصلين وكلهم بملابس العيـد وهم يزدحمون في ساحات البيع وأفنيتها

وكان ذلك النهار موافقاً لعيـد انتقال السيدة العذراء. وقد جرت في مساء اليوم الذي قبلهُ زينات وتنويرات بهيجة وخصوصاً في قمم الجبال القريبة وجميع اديار الرهبان وكل الكنائس المشيَّدة على اسم البتول

وهذا العيد كما لا يخفى هو مكرَّم ومعظَّم جداً عند اللبنانيين غير انهُ في تلك السنة اكتسى رونقاً خصوصياً لم يكن لهُ في ما مضى وكل ذلك بسبب وجود فرا غريفون في المدينة . فان نائب الكرسي الرسولي المشار اليهِ احبَّ قبل ان يركب البحر من بيروت قاصداً رومية ان يقف في جبيل مدة قصيرة ويعظ مساء عيد السيدة في الكنيسة الكبرى المشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا

وهذه الكنيسة ترتقي الى عهد الصليبيين وكانت في القرن الخامس عشر باقية على طولها وهندستها الاصليين غير ان الذين تولوا ترميمها بعد ذلك قد احدثوا فيها بعض التغيير (١ وكانت مقسومة الى ثلاثة اسواق واسعة ذات دعائم كبيرة وعند الباب الشرقي قبَّة للمعمودية انيقة فكانت في ذاك الزمان اعظم بل اجمل هيكل في جبل لبنان الذي لم يكن فيهِ شبيه لهذه الكنيسة سوى كنيسة قرية معاد (٢ على ان هذه اذاكانت تشبيها من حيث الاناقة فقد كانت تقلّ عنها اتساعاً وعلواً

وقبل ان يحين زمان الوعظ كانت قد غصَّت تلك الاسواق الثلاثة بالناس المترافدين من عمشيت وادّه ومجدليات وبلاط والبوار وبرجا وسائر القرى القريبة لاجل استماع كلمات فرا غريفون الذي كان الجميع في جبل لبنان يعرفونهُ ويجلونهُ . حتى ان اسمهُ كان أُشيع بينهم من اسم الاب يوحنَّا رئيس دير القديسة تقلا لان هذا الاخير لم يكن يتذكرهُ سوى المتقدمين في السن بخلاف الراهب الفرنسيسي المومأ اليهِ فانهُ قد اتى اعمالًا عظيمة في لبنان واحبَّ سكَّانهُ حبًّا فائقاً وقد طالما دافع وحاجَّ عنهم في اوربَّة وعلى الخصوص في رومية (٣ وكان الكل يعرفون ذلك ويتعجبون من فضيلتهِ واستقامة طباعهِ وسعة علمهِ . وكان يعرف اكثر لغات الشرق مثل اليونانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة امَّا العربيَّة فكان يعبّر فيها بسهولة عظيمة عن افكارهِ ومقاصده الَّا انهُ كان في لهجتهِ شيء ينوح بكونهِ غريباً عنها

ولمَّا اجتمع الشعب في الكنيسة اخذوا ينتظرون بذاهب الصبر وفود واعظهم المحبوب ليسمعوا كلامهُ . امَّا الشَّاب عبد المنعم مقدَّم جبيل وابن اخي الامير رزق الله (٤

١) المشرق ٣ : ٣٥١ و ١٠٢١ ٢) المشرق ٣ : ١٠٢٢

٣) فرا غريفون ولبنان (المشرق ٤ : ١٢٤)

٤) تاريخ الدويهي ص ١٦٠

فابى ان يشارك الشعب في تقواه وبقي في قصره متشاغلًا بالشراب مع بعض رفاقه في لهوه . وكان المذكور واجدًا على فرا غريفون لسببين الاول كونهُ صديقًا لعمه الامير رزق الله والثاني توهمهُ فيه انهُ هو الذي اعلم الامير باتخاذه اليعاقبة تحت كنفهِ وحمايتهِ . وكان وقتئذٍ يراسل جوسلين ويخشى من فرا غريفون ان يطلع على اسرار مراسلته ويعلن خيانتهُ

غير انهُ في يوم ذاك العيد العظيم ابى الّا ان يبوح بما كنَّ صدرهُ من النفاق وقلة الاحترام للدين فاجاب الذين كانوا يدعونهُ الى الكنيسة لسماع خطبة فرا غريفون بقولهِ : ان الكلام لا يجدي ولا يفيد شيئًا وان كان واعظكم رجل تقوى فقولوا لهُ ان يصنع المعجزات

وكان يظن انهُ نطق بعبارة تدلّ على ذكاء وتوقد ذهن . وما كان كلامهُ في الحقيقة غير شاهد على وقاحته وسلاطة لسانهِ . وعلى إثرها جلس للشراب مع رفاقهِ وندمائهِ

وفي تلك الاثناء كان فرا غريفون قد شرع في الكرازة بكنيسة القديس يوحنا وجعل موضوع كلامهِ شرفَ العذراء القديسة وما اختصَّها بهِ الله من النعم والمواهب واطنب في ذلك طويلًا لانهُ كان يلتذّ بهذا الموضوع الذي كتب فيهِ مجلّدًا برمَّتهِ (١ . امَّا الشعب فكان يسمع الوعظ بشوق وسرور ومع ما كان وقتئذٍ من شدة الحرّ لم يتحلحل احد من مكانهِ بل كان الجميع راغبين في الاستزادة من ذاك الكلام الشهي . وبعد ساعة من الزمان كانت الشمس قد مالت الى المغرب مرسلةً اشعَّتها الى داخل الكنيسة من باب السوق الكبير الذي تُرك مفتوحًا

امَّا عبد المنعم الذي كان حتى الوقت المذكور مستمرًّا على الشراب واللهو مع رفقائهِ فنهض فجاءةً وقال :

— هلمَّ بنا ايها الاصحاب نذهب الى الكنيسة تفنُّنًا في أنواع المسرّة . وليس كل يوم عيد السيدة وفوق ذلك لا يجمل ان يتوهَّم بنا الناس اننا نتهيَّب فصاحة غريفون

فعندها ضحك الكل مقهقهين وصوَّبوا رأيهُ ومضوا وما كان غير قليل حتى وصل عبد المنعم الى باب الكنيسة مع ثلاثة من رفقائهِ فشقّ غابة الجمع المزدحم وتوجَّه نحو

١) راجع مكتبة المؤلفين من رهبانية القديس فرنسيس

الدرابزين ووقف ثمت تجاه الواعظ شامخ الانف يُرسل اليه نظرًا وقحًا. امّا الواعظ فاتمّ سياق الكلام كأنهُ لم يرَ للمذكور وجهًا غير ان تلك اللهجة الابويّة الخرّاقة التي كانت تُشيد بمدائح مريم ما لبثت ان انقلبت الى ضدها لان غريفون اخذ يتكلم على عدل الله تعالى والقصاص الذي اعدهُ لمرقبي الشكوك واشياع المراطقة. ثمَّ رقّق صوتهُ بغتةً فقال:

« ان من كان في سنّي لا تجوز عليهِ الخديعة ولا يستطيع ان يأمل طول الأيام. وها انا الآن على وشك سفرة جديدة عظيمة الاخطار رغبةً في منفعة طائفتكم واتمامًا لطلب غبطة بطريركم مار بطرس (١. ولا اعرف ايها الابناء الاحباء. هل يقسم لي الله ان اعود فاشاهدكم فبناء عليهِ اسألكم ان تسمعوا بانتباه صوت ابيكم الشفيق الذي يخاطبكم لآخر مرّة. حافظوا على وديعة الايمان التي سلّمها اليكم اجدادكم الأمجاد. واياكم ان تتزعزعوا في نهجكم القويم بمسالك بعض الذين انقادوا لصوت الضلال... فان الناس يمضون ويموتون والحقيقة تبقى ولا تموت. كلاّ انّ ذراع الله لم تقصر وهو يعلم متى شاء كيف يعلن مقدرتهُ وقوّتهُ للناس... »

وكان الشّعب يسمع باصغاء عظيم هذه الكلمات المؤثرة. وكان غريفون يريد متابعة الوعظ غير انهُ سمع من اقصى الكنيسة بعض دمدمة ثم انقلبت الدمدمة الى صوت جهوري صدر من كل الافواه في وقت واحد وكان الكل يقولون: « معجزة. معجزة. صدق فرا غريفون. السماء تؤيد اقوالهُ. لعنة الله على المراطقة »

واي شيء حصل يا ترى ؟

كانت الشمس كما سبق القول على وشك الغياب ترسل اشعّتها المائلة من الباب الكبير. غير ان نورها ظهر بغتةً في كوة الحنية فانضًا على قدس الاقداس والخورس اللذين كانت الظلمة قبل دقيقة خيّمت عليهما (٢ وهكذا بانت من وراء الخطيب عاقدةً على رأسهِ اكليلاً من نور. فلمّا شاهد الشّعب هذا المنظر العجيب تضاعفت هتافاتهم« معجزة. معجزة. غريفون هو يشوع ثانٍ »

وما استطاع غريفون ان يُسكت الشّعب المتحمّس الّا بعد الجهد البالغ فلمّا عاد اليهم الهدوء خاطبهم قائلاً:

١) تاريخ الدويهي والمشرق ١: ٦٢١ ٢) راجع وادينغ وتواريخ رهبانية مار فرنسيس والمشرق ١: ٦٠

« يا اخوة ان الله قد شاء دون ريب ان يكافئ ايمانكم فاليه ينبغي ان نرفع جزيل الشكر والحمد. وإيّاكم ان تنسبوا للمخلوقات ما لا تجب نسبتهُ الّا للخالق جلَّ وعلا. هلمَّ الآنَ نسجد جميعاً مبتهلين الى الهنا الشَّفيق بان لا يحرم وطننا هذا حمايتهُ الفريدة التي لم يضنَّ بها عليهِ من قبل »

فما قال هذه الكلمات حتى خرَّ جميع الحاضرين جُثيًا على الركب وجثا ايضاً عبد المنعم محمولًا من مثل الحاضرين بل مدفوعاً الى ذلك بقوَّة داخليَّة واخذ فرا غريفون صورة العذراء القديسة فبارك بها جمهور السامعين بينما كانوا يترنمون بنشيد الشكر

وبعد ذلك تفرَّق الجميع وفي كل قلب ما لا يوصف من التأثير. وما طال الوقت حتى انتشر خبر هذا الحادث العجيب في كل انحاء لبنان حيث بقي الاهالي يتذكرونهُ لمدة طويلة. امَّا فرا غريفون فاحبَّ لتواضعهِ ان يتخلَّص من تزاحم الشَّعب عليهِ فترك جبيل خفية في مساء اليوم المذكور ذاهباً الى بيروت حيث اقام ما بين اخوتهِ الرهبان الصغار في ديرهم المعروف بدير المخلّص (١

وكان عبد المنعم قد تأثَّر ممَّا رأى وسمع لكنَّهُ لعنادهِ وإصرارهِ عاد الى منزلهِ محاولًا ان يُفسّر ذاك المظهر الخارق لعادة الطبيعة الذي شاهدهُ بعينهِ تفسيرًا ملتويًا وينسبه الى انخداع البصر. وقد ذهب ان مخيّلة السامعين تهيَّجت بشدَّة حرارة الجوّ فصوَّرت لهم كحقيقة ما كان ناتجاً عن غلط الحواس وخطائها لان كلمات الواعظ الفرنسيسي اختطفت عقولهم فظنوا انهم يشاهدون معجزةً

هكذا كان عبد المنعم يعلّل هذه الحادثة لرغبتهِ في عدم تصديقها او بالحري لاظهار الجلد والثبات على سوء اعتقاده تجاه رفقاء مسرّاته الذين شاهدوا كلهم كما شاهد هو وكما شاهد سائر اهالي جبيل ومن انضمَّ اليهم من القرى المجاورة ان الشَّمس بعد ان كانت على وشك الغروب عادت الى الشرق ودخلت من حنية الكنيسة. ولا ريب ان الاصرار هو اثمٌ قبيح ولكنهُ يكون اقبح متى كان صاحبهُ يغمض عينيهِ عن مشاهدة النور كما فعل عبد المنعم الذي كان من جنس اولئك الناس الذين قال عنهم سيدنا يسوع المسيح في انجيلهِ: « لا يؤمنون لا بموسى ولا بالانبياء. حتى لو قام احد الاموات ايضاً فانهم لا يؤمنون »

(ستأتي البقيَّة)

---

١) المشرق ١ فرا غريفون .

توحيد الحسابين

في بدء القرن العشرين

نبذة بقلم للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يَفُتْ قرّاءنا ما كتبهُ في العام الماضي حضرة الاب كولنجت عن اصول الحساب السنوي (راجع المشرق ٣: ٢٢٥) وما طرأ عليهِ من الخلل في القرون الخالية ممَّا دعا مرارًا اصحاب الامر الى تلافيهِ وكان آخر اصلاح جرى على هذا الحساب في اواخر القرن السادس عشر بهمَّة ذلك الحبر الهمام والبابا الجليل غريغوريوس الثالث عشر فدُعي باسمهِ الحساب الغريغوري فلم يلبث هذا الاصلاح ان انتشر في انحاء اوربة حتى في الممالك البروتستانيَّة ولم يتأخر عن المصادقة عليهِ غير الدولة المسكوبيَّة وبعض الدول الصغيرة الاورثذكسيَّة

وكانت الطوائف الشرقيَّة غير المتحدة مع الكرسي الروماني قبل نصف قرن تأبى كل الاباء ان تنحاز الى الحساب الغريغوري كأنَّ اصحابها لو فعلوا انبأوا بذلك عن بعض الخضوع لامام الاحبار ففضَّلوا معارضة الشمس بالعصيان من مسايرتها بالوفاق لئلا يُنسَب فعلهم الى مجاراة تابع المسيح وأتباعهِ. وكانوا مع ذلك يحتجُّون ببعض الحجج التي من شأنها ان تصون عرضهم في هذا الخلاف العلمي. واقوى هذه الحجج أنَّهم يطيعون قانون المجمع النيقوي حيث قال: «انّنا نحكم حكمًا فصلًا يجب على الكل ان يمتثلوا لهُ وهو ان يقام عيد الفصح في الاحد الاقرب للبدر الاول الواقع بعد الاعتدال الربيعي»

على انَّ الذين يستندون الى هذه الحجَّة لا يعتبرون الظروف والاحوال التي اوجبت اذ ذاك الكنيسة جمعاء ان تعرض هذا الامر على ابنائها وهو استدراك ما وقع من الخلاف بين بعض الكنائس في آسيا الصغرى وبلاد الجزيرة التي كان المؤمنون فيها يعيّدون الفصح مع اليهود في ١٤ نيسان قبل الاعتدال الربيعي فمنعتهم الكنيسة عن ذلك وحرمت من اصرّ منهم على عنادهِ

لكنَّ المجمع النيقوي بتحديدهِ المذكور لم يتعرَّض للفحص عن صحَّة الحساب اليولي الشائع في تلك الأيَّام او غلطهِ وإنَّما جرى على ما جرى عليهِ الآباء على علاَّتهِ وتركوا امر اصلاحهِ

لزمن اوفق واحوال انسب لاسيما انَّ الغلط بين دوران الشمس والحساب اليولي لم يتجاوز في عهد المجمع النيقوي ثلاثة ايام

ألَّا انَّ كرور الاعصار وتوالي القرون لم يزل يزيد في هذا التباين حتى بلغ في بدء القرن العشرين ١٣ يوماً وصار الاعتدال الربيعي لا يقع ألّا في ٢٢ اذار الشرقيّ بموجب الحساب اليوليّ مع اننا نرى جميعاً رأيَ العين انَّ هذا الاعتدال اي تساوي الليل مع النهار قد سبق هذا العهد وانهُ يقع في ٩ آذار

ولعلَّ قائلاً يقول او ليست طاعة المجمع المسكوني أولى من متابعة الحساب الفلكي ؟ اجبنا على ذلك انهُ لو كان لا مندحة من اختيار احد الامرَين لتحتَّم تفضيل أوامر الدين على سواها . ولكن هيهات ان يكون المجمع النيقويّ حكم بما يضادّ الحساب الفلكيّ وانّما حتم فقط كما سبق القول بامرَين : اولهما ألّا يقام عيد الفصح مع اليهود . والثاني ان يُعيَّد الفصح في اوّل احد يقع بعد البدر الاول من الاعتدال الربيعيّ

وهذان الامران ينفذهما تابعو الحساب الغريغوري فانهم لا يعيّدون الفصح مع اليهود لانَّ فصح اليهود يقع يوم بدر القمر نفسهِ ايَّ يوم كان . امّا تبَعة الحساب الغريغوري فلا يعيدون الفصح ألّا الاحد واذا وقع عيدهم يوم البدر وتوافق عيدهم وعيد اليهود معاً نقلوا العيد الى الاحد الذي بعدهُ . وبعكس ذلك نرى الفصحَين المسيحي واليهودي توافقا مراراً بعد المجمع النيقوي قبل الاصلاح الغريغوري في السنين الآتية ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٩٤، ٤٠١، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢١، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٦٥، ٤٩٦ كما بيَّن ذلك الكاهن العلامة نيقولا تلستوي مؤخرًا في جريدة روسيَّة

امّا الامر الثاني فانَّ اصحاب الحساب الغريغوري وحدهم الآن يقومون بهِ بخلاف متّبعي الحساب اليولي . لانَّ منطوق كلام المجمع ان يُقام عيد الفصح بعد « البدر الاول » من الاعتدال الربيعيّ والحال انك ترى الجارين على الحساب اليوليّ يعيّدون مراراً عيدهم بعد « البدر الثاني » من الاعتدال الربيعي وذلك لانَّ الاعتدال الربيعيّ يتأخَّر في الحساب اليولي الى ٢٢ اذار الشرقي وكثيرًا ما يقع البدر الاول من الاعتدال الربيعي الصحيح قبل هذا التاريخ اعني في الثلاثة عشر يوماً السابقة لهُ فيعيد الشرقيّون وتتنقل « بعد البدر الثاني » لا « بعد البدر الاوّل » خلافاً لما سنَّ المجمع النيقويّ . فينتج من ذلك ان تبَعة الحساب الغريغوري أمثل لاوامر هذا المجمع من تبَعة الحساب اليولي

ونضرب صفحًا عن حجج اخرى لا طائل تحتها يحتجّ بها اصحاب الحساب الشرقي فانّ السكوت عنها أسلم لشرف المتشبثين بها. وانّما نقول اجمالًا انّ الكنيسة الكاثوليكيّة اصابت كل الصواب اذ ابدلت الحساب القديم وذلك امرٌ يقرّ به كلّ من يرى رأي الصواب وينقاد الى الحقّ من الشرقيين ولذلك ترى العلماء منهم في العصر المنصرم لم يزالوا يسعون في إبطال الحساب الشرقي ومجاراة العالم المتمدّن باتباع الإصلاح الغريغوري. فقبل السنة ١٨٥٠ قدّم علماء المكتب العلمي في بطرسبورغ عريضة للقيصر بيّنوا فيها وجوب اصلاح الحساب. الّا انّ مساعي العلماء زادت تواترًا واحتجاجًا منذ ٢٠ سنة فترى الفلكيين من الروس والبلغار والسرب والرومان واليونان يكرّرون المقالات في المجلات العلميّة ليقنعوا دولهم بمباشرة هذا المشروع قلّما يكون للسنة المدنيّة والمعاملات السياسيّة. وفي الخمسة الاعوام الماضية تأثّر اصحاب الامر من هذه الكتابات واعاروا لاقوال اصحابها اذنًا صاغية وكان السرب والبلغار والرومان على وشك إبدال حسابهم اذ اشار اليهم القيصر محامي الاورثذكسيّة أنْ: « اربعوا على ظلعكم ولا تتجاوزوا طوركم الى ان يحكم الديوان الملكي في هذا الامر». ثمّ تقدّم الى المكتب الفلكيّ الروسي بان يبتكر طريقةً لحلّ المشكل. فما لبث اصحابهُ ان عرضوا على العالم الاورثذكسي مشروعًا صوّب اليه اكثر العلماء الفلكيين سهام التنديد حتى في روسيا فدعت حينئذٍ الدولة المسكوبية كل دول الصقالبة الى البحث عن الطريقة المثلى لوضع حساب يقوم مقام الحساب اليولي.

فكان اوّل من لبّى هذه الدعوة الجمعيّة العلميّة الاورثذكسيّة في بلغراد عاصمة السرب (Glasnik pravoslavne Tsrkve) فكتب فيها الاستاذ الفلكي مكسيم ترپكوفيتش (M. Trpkovitch) مقالة في الحساب جديرة بان تعدّ كطرفة من طُرَف الدهر وغرة في مفرق العصر. فانهُ بعد أن لخّص اصول الحساب السنوي وبيّن ما في البناء على الحساب القديم من الشوائب العديدة استطرد الى الثناء على الإصلاح الغريغوري وخواصّهِ الفريدة وسهولة طريقته. ثم اخذ يرتاد للدول الاورثذكسيّة قاعدة جديدة يجري عليها الاورثذكس توافق بين الحسابين وتكون اكمل من الحساب الغريغوري بحيث تُصلح الغلط الطفيف الموجود في هذا الحساب (١ فوجد هذه القاعدة التي هي أفضل من

١) راجع ما قال عن هذا الغلط حضرة الاب كولنجت (المشرق ٣: ٢٢٠)

القاعدة الغريغوريَّة لأنَّها تُصلح غلطها فلا يكون الفرق بين حركة الشمس والحساب الَّا يوماً واحدًا في كل ١٥٠٠٠٠ سنة بدلًا من ٤٠٠٠ سنة . والمعلم المذكور استند في ذلك على معدَّل دوران الارض السنوي وفقًا للمكتب الفلكي في باريس الذي قرَّر بأرصاد متوالية تعديل هذا الدوران وهو ٣٦٥ يومًا و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٨ ثانية فحسبها بالكسور العشريَّة ٣٦٥,٢٤٢٢ وبنى على هذا الحساب قاعدتهُ العجيبة الآتي ذكرها

ولبيان فضل هذا الاختراع نعرض جدولًا يبيّن القاعدتين ليرى القرَّاء كمال القاعدة الجديدة على القاعدة الغريغوريَّة (١

القاعدة الغريغورية	قاعدة الاستاذ تريكوفيتش
١ طول معدَّل الحساب السنوي على موجب رأي العلماء ٣٦٥ يومــاً و ٥ س و ٤٩ً و ١٢ً (بموجب أرصاد ذلك العصر)	١ طول معدَّل الحساب السنويّ على رأي مكتب باريس الفلكي ٣٦٥ يومًا و ٥ س و ٤٨ً و ٤٨ً
٢ فيكون الزائد من السنة اليولية ١٠ً و٤٨ً	٢ فيكون الزائد من السنة اليوليَّة ١١ً و١٢ً
٣ عدد القرون اللازم ليصير هــذا الكسر الزائد عددًا تامًّا هو « اربعة » . فيبلغ ٣ ايَّام كاملة كلَّ ٤٠٠ سنة . اعني انهُ لا بُدَّ من حذف ٣ ايَّام كلَّ اربعة قرون	٣ عدد القرون اللازمة ليصير هذا الكسر الزائد عددًا تامًّا هو « تسعة » فيبلغ ٧ ايَّام كاملــة كل ٩٠٠ سنة . اعني انهُ لا بُدَّ من حذف ٧ ايَّام كلَّ تسعة قرون
٤ واحسن ما يكون حذف هذه الايَّام في بــدء القرون . فلا تُكبَس الَّا « سنة واحدة » في بدء « اربعة » قرون متوالية	٤ واحسن ما يكون حذف هذه الايَّام في بدء القرون . فلا تُكبَس الَّا « سنتان » في بدء « سبعة » قرون متوالية
٥ امَّا السنة المئوية التي يحسن كبسها فهي التي يُقسم مجموع اعــدادها على ٤ دون باقٍ	٥ امَّا السنتان المئويتان اللتان يحسن كَبسُهما فهما اللتان يُقسَم مجموع اعدادهما على ٩ او ٤ دون باقٍ
مثال ذلك السنين ٢٠٠٠ , ٢٨٠٠,٤٠٠٠ فانَّها تكون كبيسة لانَّ مجموع اعدادها يقسم يُقسم على ٤ دون باقٍ. بعكس ذلك السنين ١٩٠٠ ,٢١٠٠ , ٢٢٠٠ فانَّهــا لا تكبس لانَّ لمجموع اعدادها باقيًا بعد قسمتها على ٤	مثال ذلك السنين ٢٣٠٠ , ٢٧٠٠ ,٢٨٠٠ ٤٥٠٠ فانَّها تكون كبيسة لانَّ مجموع اعدادها يُقسم على ٤ (٢٣٠٠ ,٢٨٠٠) او على ٩ (٢٧٠٠, ٤٥٠٠) دون باقٍ . وبعكس ذلك السنين ١٩٠٠ ,٢١٠٠ , ٢٢٠٠ فانَّها لا تُكبَس لانَّ لمجموع اعدادها باقيًا بعد قسمتها على ٤ او ٩.

١) اخذنا هذا الجدول من مقالة للاب تندبنى الراهب البرني الشهير كتبها في مجلة العلوم العموميَّة العدد (٤ من السنة ١٢ ص ١٧٦)

فترى من هـذا الجدول ما بين القاعدتين من الوفاق وما للمعلم تريكوفيتش من الذكاء في وضع هذه القاعدة الجديدة التي مع بساطتها تزيل الخطأ من الحساب بحيث لا يَبقى لهُ اثرًا يُذكر الّا بعد ١٥٠٠٠٠ سنة. فعسى ان تحظى هذه القاعدة قبولًا لدى العالم الاورثذكسي ويزول بذلك الخلاف بين نصارى جميع الامم في امر الحساب

وعلى كلّ حال اننا نؤكد لاخوتنا المنفصلين انّ الحبر الاعظم مستعدّ لكل ما من شأنهِ ان يسهّل توحيد الحسابين ولنا في سعة افكارهِ مثال جميل في ما كتبهُ الكردينال رمبولا وزير قداسة البابا لاون الثالث عشر باسم سيّده منذ ثلاث سنوات لمدير المرصد الفلكي في برلين. وكان الاستاذ المذكور وهو المعلم فرستر (Forster) الفلكي الشهير طلب نيابةً عن المراكز الفلكيّة الدوليّة هل الكرسي الرسولي يقبل ان يجعل حدًّا بألفة القلوب عيد الفصح في يوم معلوم مثلًا الاحد الاول من شهر نيسان وذلك في كلّ السنين. فاجاب الكردينال رمبولا باسم الاب الاقدس في ٦ أيار سنة ١٨٩٧: « انّ الكنيسة الكاثوليكيّة لا تأبى ان تتلقّى هذا المشروع بعين الاعتبار اذا نتجت عنهُ منافع للألفة الاجتماعيّة ولم يحصل من جرّائهِ مضارّ لعالم الدين وتكون الدول صادقت عليهِ دون خوفٍ ان ينجم عنهُ شقاق او نفور » فاعرب الكرسي الرسولي بجوابهِ هذا عن ارتياحهِ لخير الجمهور والكنيسة معًا. جبر الله القلوب بالحبّ والإخاء. امين اللهمّ امين

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ سورية

الجلّد الخامس يتضمّن تاريخ سوريّة في أيام الخلفاء الى نهاية القرن الحادي عشر بقلم الحبر الجليل والمؤرخ الفاضل السيد يوسف الياس الدبس مطران بيروت المارونيّ طُبع في بيروت في المطبعة العمومية سنة ١٩٠٠ ص ٥٨١.

هذه مرّة خامسة وفّقنا الله بان نثني على تأليف تزدان بهِ مكاتبنا وتفتخر لهُ بلادنا وضعهُ حبرٌ مفضال لم تضعف عزيمتهُ اعباء الرئاسة ورعاية الخراف الناطقة فاكتسب بتأليفهِ شكر جميع السوريين فضلًا عن ابناء ملّتهِ. ولا يخفى ما يستدعيهِ كتابٌ طويل

مثل هذا من دقّة النظر والابحاث المتعدّدة والطالعات الملّة. فلم يستنكف سيادتهُ عن كل ذلك وتجرّد لهذا العمل الجليل منذ نحو عشر سنوات بغيرة لا تعرف السأم.

وقد جاء الجزء الجديد شاملًا للتاريخين الديني والمدنيّ من القرن السابع للمسيح الى ختام القرن الثاني عشر مع ذكر مشاهير العلماء والكتبة من نصارى ومسلمين في سوريَّة. وقد استطرد المؤلف الفاضل الى امور كثيرة لها بعض العلاقة مع التاريخ السوري. ومن الابحاث المسهبة التي دُوّنت في هذا الجزء اخبار اصول الطائفة المارونيَّة والمدافعة عن ارثذكسيّتها المتواصلة فلخّص سيادتهُ في تاريخهِ ما ألّفهُ سابقًا في هذا الصدد. ونحن نوافقهُ تمامًا في ما كتبهُ عن براءة القديس مارون الناسك من بدعة المشيئة الواحدة (ص ٢٧١–٢٨٥) اذ لم تنشأ في عهدهِ هذه البدعة ويشهد على سموّ قداستهِ توادوريطس المؤرخ معاصرهُ. ولا نظنّ ان البطريرك كيرلّس تاتاس نكر ذلك (ص ١٧٨) فانّ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخةً من عريضة رفعها الى البابا باديكتس الرابع عشر يصرّح فيها جهارًا عن اعتبارهِ لهذا القديس واكرامهِ لصدورهِ وذكر اسمهِ في الميناون الكبير

THE GEOGRAPHY OF SYRIA
followed by the history of the original Maronite Church
compiled by Joseph Dahdah, Sydney, 1899, pp. 72

جغرافية سوريَّة وملخَّص تاريخ الطائفة المارونيَّة لحضرة الخوري يوسف الدحداح

احبَّ مؤلف هذا الكتاب ان يعرّف سوريَّة واخبار الطائفة المارونيَّة لاهل استرالية حيث توفَّر عدد المهاجرين فضمّنهُ بالانكليزيَّة نظرًا عن احوال سوريَّة وحدودها ومدنها وجبالها وانهارها ثمَّ ألحق بهِ تاريخ الكرسي الانطاكيّ مع سلسلة البطاركة المارونيين كما نشرها حضرة الاستاذ العلامة رشيد افندي الشرتوني. وقد اتسع المؤلف في ترجمة البطريرك السابق المثلّث الرحمة السيد يوحنَّا الحاج مع الاشارة الى انتخاب خلفهِ غبطة السيد الجليل مار الياس بطرس الحويّك متَّع الله برعايتهِ الطائفة المارونيَّة دهرًا مديدًا. وفي الكتاب عدَّة تصاوير حسنة

ԳՐԻԳՈՐ ԽԱԼԱԹԵԱՆՑ
ԳԻՐՔ ՄՆԱՑՈՐԴԱՑ ԸՍՏ ՀՆԱԳՈՅՆ ՀԱՅ ԹԱՐԳՄԱՆՈՒԹԵԱՆ

نسخة قديمة ارمنيَّة من سفر اخبار الأيَّام: طُبعت في موسكو سنة ١٩٠٠

لا يخفى انَّ النسخة الشائعة بين الارمن من الاسفار المقدَّسة قد نُقلت من الترجمة السبعينيَّة في ايّام القديس مسروب واضع حروف الهجاء في هذه اللغة. بيد انَّ المؤرخين

الارمن اثبتوا في تآليفهم أنهُ سبقت هذه الترجمة ترجمة أُخرى نُقلت عن الاصل السرياني أُهملت لما وقع فيها من الخلل حتى لم يكد يبقى لها أثر. الّا انّ المعلم كريكور خلطيسان وجد في دير مار يعقوب للارمن الاورثدكس في القدس ثم في دار الكرسي البطريركيّ في اشميازين نسختين ترتقي الاولى الى سنة ١٢٦٩ وفيهما بعض الخلل والنقص والثانية الى سنة ١٦٣٥ وهي أكمل واضبط وكلتاهما منقولة عن الترجمة السريانية فقابل بينهما ونشرهما وعلّق عليهما التعاليق المفيدة وألحقها بتصاوير شمسيَّة تمثّل بعض صفحات النسختين فجاء كتابهُ مفيدًا لتاريخ الاسفار المقدسة في الشرق ل. ش

شذرات

تاريخ خطي اوقفنا جناب الاديب القانوني سليم افندي باز على نسخة من تاريخ القس حنانيا منيَّر الراهب الشويري نفيد القرَّاء اذا اطلعنا على اخبار مؤلفهِ. واليوم رأينا ان نقتطف منهُ نبذة عن مباني بيروت القديمة قال (ص ٣٧):

لمَّا عاد اهل بيروت اليها بعد الحروب الطويلة اخذوا يصلحون شيئًا من ابنيتها المتهدّمة. وما زالت كذلك الى ولاية الامراء التنوخيين فاقاموا بعضًا من ابنيتها وبنى الامير منذر الجامع المعروف باسمهِ حتَّى الآن عند النوفرة وأفضت النوبة الى الامراء بني معن فبنوا البرج الكشَّاف وخان الوحوش ودار الولاية والجامع المنسوب اليها. ثم الى الامراء بني الشهاب فاقام الامير ملحم خان الملاحة والامير يوسف قيساريَّة الاروام والامير منصور القيساريَّة المعروفة باسمهِ والامير علي قيسارية الصاغة والامير سليمان ابو اللمع قيسارية البارود والامير يونس القيسارية المعروفة باسمهِ والشيخ عبد السلام العماد القيسارية التي في رأس سوق العطارين والشيخ شاهين تلحوق القيسارية التي بالقرب من القيسارية العتيقة حيث قُتل ابن ملك البندقية (راجع المشرق ١ : ٣٢٢). وكانت القيسارية العتيقة لزوجة الامير أحمد الشهابي وكان يقال لها ام دبوس ولها البرج المستدير بجانب السور والبرج الذي يقال لهُ طاقة القصر كان للامير منصور وكان البرج الجديد الذي فوق طاقة القصر للامير مراد ابن الامير منصور وبالقرب منهُ دار للامير علي وتحتهُ دار للامير حسين وتحتها دار للامير بشير السين متصلة بالمدينة بالقرب من باب البلد الذي يقال لهُ باب يعقوب الكرواني وكان يعقوب ماردًا يقطع الطرق فقتل في نهر الكلب ودُفن في ساحة ذلك الباب ولهُ حكاية طويلة وكانت دار الولاية في الجبل أيام بني تنوخ

تعريب الفاظ تجاريَّة امَّا بعدُ ففي العدد الرابع من مشرقكم المُشرق قد جاد علينا احد افاضل اللغويين تحت عنوان «حلّ معقدات» بتعريب بعض

الفاظ تجاريّة افرنجيّة - فدرءا للالتباس وحبًّا باماطة لثام الشبهات عن محيّا الحقيقة اتيت بهـذه العجالة لابين الفروق التي قرّرها الاصطلاح والاستعمال اليومي في تعريب بعض من تلك الألفاظ :

إنّ remise, traite, lettre de change, effet تُطلق على مدلول واحد . غير ان lettre de change يُراد بها البوليصة بتجريد النظر عن كلّ ما يطرأ عليها وتعريبهـا سفتجة او كمبيو (١ — و traite (من فعل tirer) هي السفتجة بالنظر الى محرّرها ومُمضيها او بعبارةٍ افصح بالنسبة الى ساحبها (tireur) وتسمّى سحبًا او مسحوبًا (٢ — و remise هي السفتجة التي يقدّمها تاجرٌ الى تاجر في بلدٍ آخر ويواقها بالعربيّة حوالة - وقد يستعملون لفظة acceptation ويريدون بها السفتجة التي قبلها المسحوب عليه (tiré) ولا بأس بتعريبها سفتجة مقبولة - امّا effet فدلولها اوسع اذ انها تُطلق على كلّ ما مرّ بك وعلى صكوك الديون المتبادلة بين التجار - فتعريبها بحسب مدلولها المُطلق ورقة تجاريّة (كما يقال ايضًا بالفرنسيّة effet de commerce) وحصرًا بالمعنى الاول سفتجة وبالمعنى الثاني سند او كمبيالة (٣ (ويرادفها بالفرنسيّة بالمعنى الاخير billet à ordre) - هذا وفي بعض الاحيان تستعمل الالفاظ المذكورة مجازًا

امّا ترجمة réserver bon accueil à effet بهذه الصورة : « استعدّ لقبول حوالة » فلا اراها تفي بالمعنى المقصود والاصحّ ان يُقال « كرّم او شرف الحوالة بالقبول » او حازت الحوالة القبول حسب الحال . لانهُ على علمي ليس المراد بذلك الاستعداد للقبول بل انما مجرّد القبول . . . هذا ما تيسّر اثباتهُ مع اقراري بعجزي (جان پهلوان)

---

١) من الايطالية cambio أي مبادلة . على أن هذه اللفظة يراد بها خصوصًا المعنى المقصود من change فيقال أسعار الكمبيو les prix du change أعني اسعار السفاتج

٢) من اصطلاحات أهل زماننا

٣) كذلك من اصلها الايطالي cambio . وقد استعملوا كمبيالة للدلالة على السند المحرَّر لأمر (مثلًا اني فلان ملزوم ان أدفع لأمر فلان) تمييزًا لهُ عن السند العادي المحرَّر من دون أمر (اني فلان ملزوم أن ادفع لفلان) وغنيٌّ عن البيان ان الكمبيالة هي معاملة تجاريّة بل هي سلاح المتجر فتقع تحت سيطرة القانون التجاري أمّا السند العادي فليس بشيء من ذلك ويخضع للاحكام المدنيّة

حلّ اللغز السابق بعد طبع العدد الاخير من المجلة ارسل الينا حضرة الخوري الفضال يوسف العلم والخوري حنّا شلهوب من الكرك والمعلّمان الاديبان يوسف ابو سليمان ونجيب افندي ملحم مشعلاني من زحلة حلّ اللغز الوارد في العدد ٨ غير انّ ضيق المكان يضطرّنا الى ان نكتفي بذكر ابيات الخوري ي. العلم وهي:

اعجب بلغزٍ كم اغار لمثلهِ ... من جيش ارباب الدواية والقلمْ
ما همَّ ناظمهُ غموضةُ لفظهِ ... لكن بمغزاهُ سبى اهل الحِكَمْ
بثلاثةٍ من احرفٍ تركيبهُ ... ولكم معانٍ تحت مبناهُ توءَمْ
فاذا حذفت من الثلاثة واحدًا ... تلقى بمُبعد الحذف منهُ ما ولمْ
« امل » بهِ يُجيي ولكن مثلهاً يحيي المؤمّل في كراهُ اذا احتلمْ
« المٌ » بهِ يضني ولكن عندما ... عث القلوب لملكهِ وبها احتكمْ
تدعوهُ ربًّا وهو صنع يديك، من ... حجرٍ تطرّقهُ فقل هذا صنمْ
فلأكسرنْ سانيهِ ثمت رأسهُ ... ولأشرينّ بهِ الكرائم والنِعَمْ
أهلاكهُ نفعٌ وفي ابقائهِ ... تلقى هلاكك والنواية والندمْ
خذ منهُ ما تحتاج وانفق للورى ... ما زاد ليس المال مالك يا عدَمْ
قد جئت هذا الكون عريانًا فقل ... من اين ما لك فيهِ او ماذا ولمْ (١
واذا رجعت الى ترابك يا ترى ... اتجرُّ معك المال او تحيي الرمم
فالمال في الدارَين انفع نافعٍ ... عند امرئٍ في حسن مبداهِ انتظمْ
فاذا اردت بهِ السيادة سُد وكن ... الناس منوالًا فتلفيهم خدَمْ
واذا اردت الملك في دار البقا ... فلوجهِ ربك بذلهُ اوفى سلَمْ
يا صاحب العقل السليم اليك من ... لغز ومغزاهُ فوائد تُغتنَمْ

لغزٌ آخر لجناب الدكتور حبيب درعوني يُطلب حلّهُ نظمًا

ما قولكم اهل النهى في ميّتٍ ... ايدي المنيّة دحّتهُ بصُفرةِ
جسم بلا روحٍ وروحٌ حيّةٌ ... فيهِ لقد خُصّت باعظم قدرةِ
فاذا فركت الجسم عادت روحهُ ... واذا تركت يعود ضيفُ الحجرةِ
واذا قطعت الرأس منهُ وروحهُ ... لاقت لها أُختًا لاوّل مرّةِ
نفرت وصارت تبتني هربًا كأنّ ... فؤادها لم يدرِ حبّ العِترةِ
لكنّها تصبو الى اضدادها ... وتروح تجذبهم ولو من ذرّةِ
فاذا التقت في ضدّها أَلِفتهُ كي ... تقضي لحاجات بكلّ مسرّةِ
من اجلها تطوي الفلاة بلمحةٍ ... وبنورها تزري بنور الغرّةِ
وتريك اعمالاً تريدك فتنةً ... وخوارقًا تقضي عليك بحيرةِ
واذا عرى الانسان نابض غيظها ... أودت بهِ في قاع اعمق حفرةِ

---

١) اشارة الى قول بولس الرسول « وماذا لك ولم تأخذهُ » اي كلّ ما للانسان هو من الله

أسئلة وأجوبة

س سأَلنا احد افاضل الروم أصحيح انَّ للبابا حذاء رُسم عليهِ الصليب المقدس. فكيف استجاز ذلك احبار رومية وما اصلهُ

الصليب على حذاء الباباوات

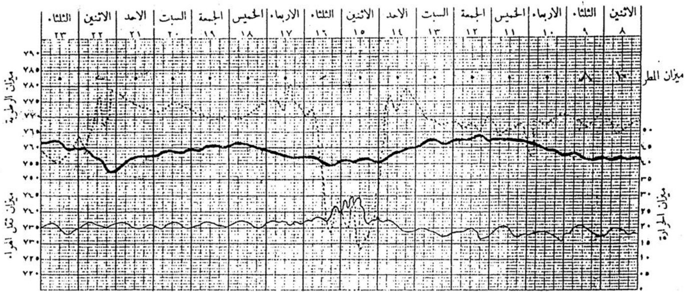
ج هذا سؤَال كثيرًا ما عرضهُ علينا بعض اهالي البلدة فنجيب عليهِ بطيبة خاطر . لا خفاء انَّ للاحبار الرومانيين ثيابًا أهلة بجلال مقامهم من جملتها احذية الحرير الابيض التي استعملها الاساقفة منذ عهدٍ عهيد في الرتب الدينيَّة . الَّا ان احذية الحبر الروماني تكون من الحرير الابيض او الذهبي اللون على حسب اختلاف الاعياد . وقد خُصَّت هذه الاحذية بان يُطرَّز على وجهها رسم الصليب جريًا على عادة قديمة رقاها الكاتب المحقق پويار (Poyyard) في كتابهِ عن الثياب الحبريَّة المطبوع في رومية قبل مئة سنة الى القديس غريغوريوس الكبير في عام ٥٩٠ وكذا روى العلامة روكًا (Rocca) من علماء العاديَّات الكنسيَّة . امَّا سبب نقش الصليب على الاحذية البابويَّة فهو دليل على اتضاعهم . لانهُ لمَّا كان المؤمنون بل الملوك والاساقفة يقبلون أقدام الاحبار الرومانيين لسموّ مرتبتهم فضَّل رؤساء الكنيسة ان يُقدَّم هذا الاكرام لصليب الرب لا لشخصهم فليس اذن في رسم الصليب على الاحذية اهانة لهُ بل اكرام جديد . وان قيل الاحذية تمسّ الارض وتُمتهن بالمشي اجبنا انَّ الشمس لا تفقد شيئًا من بهائها بوقوع اشعتها على امكنة ذليلة وكذلك الصليب . وياتُرى أيقول احدٌ انَّ الاساقفة يحتقرون الصليب بجلوسهم على بدلاتهم الحبريَّة والنفَّارات الذي هو مرسوم على هذه الحلل الكنسيَّة . او يزعم زاعم ان الصليب يُهان لمَّا يمشي المؤمنون في صحن الكنيسة وكثيرًا ما نُقش فيها بالفسيفساء رسم الصليب وغير آنية مقدَّسة كالكأس مع القربانة الخ . . وكلُّ ذلك شائع بين كلّ الطوائف النصرانيَّة منذ اوائل الكنيسة .

س وسُئلنا هل استُعملت انارة الهيكل في العهد القديم بالشمع العسلي وهل استعمالهُ قديم في الكنيسة ومن اي زمان

الشمع العسلي

ج لم يرد في اسفار العهد القديم ذكر الشمع العسلي . امَّا النصارى فقد استعملوهُ منذ اوائل الكنيسة فانَّ القديس ايرونيموس يذكر الامر كعادة شائعة . في كلّ بلاد الشرق في ايَّامهِ . ولدينا شواهد تكاد ترتقي استعمال الشمع الى عهد الرسل ل . س

قائمة للآثار الجوّية من ٨ الى ٢٣ نيسان ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات